الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل (ط1): 202035075274

رقم التسجيل (ط2): 212135082795

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

شعبة: دراسات أدبية **تخصص: ادب جزائري**

بعنوان

تمثلات الأنا والآخر في رواية "الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكي" لطاهر وطار

إعداد الطالبتين:

- خير الدين خديجة

- سعادي حورية

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د. خليف مهيديد	أستاذ محاضر –ب–	جامعة المسيلة	رئيسا
2	مقيرش عثمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. جاب الله سمير	أستاذ محاضر –ب–	جامعة المسيلة	ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2026/06/13م

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في .....2020 - 12 - 27.....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة) حسين الدين خديجة الصفة: طالب. أستاذ. باحث طالبة

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 203933636 والصادرة بتاريخ 2023/06/18

المسجل(ة) بكلية / معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).

عنوانها: تمثلات الأنا والآخر في رواية الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكي لـ: طاهر وطار

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2023/06/07

توقيع المعني (ة)

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المورخ في .....

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة) سعادي حورية الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالبة

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 109676792 والصادرة بتاريخ 2023/10/17

المسجل(ة) بكلية / معهد الآداب واللغات قسم اللغة العربية

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة الليسانس، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)

عنوانها تمثلات الأنا والآخر في رواية الوفي الطاهر لعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ 2024/04/07

توقيع المعني (ة)

إهداء

إلى من كانا لي السند الأول في مسيرتي، ومن غمرا حياتي بالدعم والمحبة دون انتظار مقابل،

إلى من علّماني أن النجاح لا يُمنح بل يُنتزع بالإصرار والصبر،

إلى والديّ الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما،

إلى أفراد عائلتي الكريمة، كبيرها وصغيرها،

إلى كل من وقف إلى جانبي وقدم لي يد العون والتشجيع في أي مرحلة من هذا العمل،

أهدي هذا الجهد المتواضع،

راجيةً من الله أن يجعله علمًا نافعًا وعملاً خالصًا لوجهه الكريم.

خديجة خير الدين

إهداء

إلى من كان دعمي الأول وسندي في الحياة،

إلى من غرسا فيّ معنى الطموح والإصرار،

إلى والديّ العزيزين حفظهما الله،

إلى أفراد عائلتي الكرام،

إلى أساتذتي الأفاضل الذين لم يبخلوا عليّ بالتوجيه والنصح،

وإلى كل من ساهم في دعمي ولو بكلمة طيبة،

أهدي هذا العمل المتواضع،

راجيةً من الله أن يجعله عملًا مباركًا ونافعًا.

سعادي حورية

شكروتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنجز الأعمال وتتحقق الغايات.
أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور **"مقيرش عثمان"** على ما قدّمه من توجيهات قيّمة وملاحظات سديدة كان لها بالغ الأثر في إثراء هذا العمل وإخراجه في صورته النهائية.
كما أتوجّه بالشكر إلى أساتذتي الأفاضل **بقسم اللغة والأدب العربي**، الذين كان لهم الفضل في تكويني العلمي والمعرفي طيلة مشواري الدراسي، بما قدموه من علم وتوجيه ونصح.
ولا يفوتني أن أشكر كل من قدّم لي يد العون والمساندة، سواء بالدعم أو النصيحة أو التشجيع.
وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مقدمة

مقدمة

تُعد الرواية الجزائرية من أكثر الأجناس الأدبية انشغالاً بقضايا الهوية والانتماء والاختلاف، إذ ارتبطت نشأتها وتطورها بالسياقات التاريخية والسياسية التي عرفها المجتمع الجزائري، بدءاً من فترة الاستعمار وصولاً إلى مرحلة الاستقلال وما تلاها من تحولات اجتماعية وفكرية وثقافية. وقد انعكست هذه التحولات على البناء الروائي وعلى طبيعة الشخصيات والعلاقات التي تجمع بينها، فبرزت ثنائية الأنا والآخر بوصفها إحدى الركائز الأساسية في تشكيل الرؤية الروائية، حيث أصبح الآخر يمثل أحياناً الخصم أو المنافس، وأحياناً أخرى الشريك في بناء المعنى والهوية.

وتُعدّ ثنائية الأنا والآخر من القضايا الفكرية والنقدية التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الأدبية الحديثة، لما تثيره من إشكالات تتصل بالهوية والاختلاف والتمثّل والتفاعل الحضاري، وهي من الموضوعات التي وجدت في الخطاب الروائي مجالًا خصبًا لتجلّيها، إذ شكّلت الرواية فضاءً لتصوير الذات في علاقتها بالآخر، سواء من منطلق الصراع أو الحوار، أو من زاوية الرفض والتقبّل وإعادة بناء الهوية. وقد ازدادت أهمية هذه الثنائية في الرواية العربية الحديثة عمومًا، والرواية الجزائرية على وجه الخصوص، بالنظر إلى خصوصية التجربة التاريخية والثقافية التي عاشها المجتمع الجزائري، وما أفرزته من صور متعددة للأنا والآخر في مستوياتها الحضارية والاجتماعية والسياسية والفكرية.

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية، فمن الناحية الذاتية يعود إلى الرغبة في دراسة أعمال الطاهر وطار بوصفه أحد أبرز أعلام الرواية الجزائرية، والاهتمام بالقضايا المرتبطة بالهوية والذات والآخر في الخطاب الأدبي، والميل إلى الدراسات السردية ذات الأبعاد الفكرية والثقافية. أما من الناحية الموضوعية فتتمثل في القيمة الأدبية والفكرية للرواية، وأهمية ثنائية الأنا والآخر في الدراسات النقدية المعاصرة، فضلاً عن محاولة الإسهام في الكشف عن أبعاد جديدة في هذا النص الروائي.

وانطلاقًا من المكانة التي يحتلها موضوع تمثّلات الأنا والآخر في الساحة النقدية والفكرية، جاءت فكرة دراسة هذا الموضوع في رواية" ***الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي***" للروائي الطاهر وطار، لما تمثّله هذه الرواية من نصّ سردي ثريّ يزخر بالتمثّلات المتعدّدة

للذات والآخر، ويكشف عن أبعاد العلاقة القائمة بينهما في ضوء تحوّلات المجتمع الجزائري ورهاناته الحضارية والثقافية. فقد استطاع الروائي من خلال هذا النص أن يجعل من ثنائية الأنا والآخر بنية دلالية مركزية، تتقاطع فيها أسئلة الهوية والسلطة والمقدّس والواقع الاجتماعي، بما يجعل الرواية مجالًا خصبًا للكشف عن أنماط تمثّل الذات للآخر وتمثّل الآخر للذات.

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع ذاته، إذ تسعى إلى الكشف عن تجليات الأنا والآخر في أحد أهم النصوص الروائية الجزائرية المعاصرة، كما تبرز أهمية البحث في إسهامه في توضيح الرؤية الفكرية والفنية للطاهر وطار، والكشف عن الكيفية التي وظف بها الخطاب الروائي لطرح قضايا الهوية والاختلاف والصراع الثقافي. كما تكتسب الدراسة أهميتها من قلة الدراسات التي تناولت ثنائية الأنا والآخر في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" بصورة مستقلة ومعمقة، فضلاً عن مساهمتها في إثراء الدراسات السردية المتعلقة بالرواية الجزائرية الحديثة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أهمها التعرف إلى مفهوم الأنا والآخر من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، والكشف عن تمثلات الأنا في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، وإبراز صور الآخر وأنماطه المختلفة داخل الرواية، وتحليل طبيعة العلاقة القائمة بين الطرفين، والوقوف على أهم الآليات السردية والفنية التي اعتمدها الطاهر وطار في بناء الأنا والآخر داخل النص الروائي.

استفادت هذه الدراسة من جملة من البحوث السابقة التي تناولت إشكالية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية. ومن أبرزها دراسة يمينة سعادة الموسومة بـ: **"تمثلات الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة"** (2020)، والتي بحثت في طبيعة العلاقة الجدلية بين الذات والآخر من خلال تحليل تمثلات الهوية والاختلاف والحوار الحضاري داخل النص الروائي الجزائري، وانتهت إلى أن صورة الأنا تتشكل في تفاعل دائم مع الآخر قبولًا أو رفضًا.

كما أفادت الدراسة من بحث فاطمة الزهراء حضري بعنوان: **"صورة الآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة: دراسة في نماذج روائية"** (2020)، حيث ركزت على تمثلات الآخر

في الرواية الجزائرية وعلاقته بالسياقات التاريخية والسياسية والثقافية، مبرزةً صور الصراع والتفاعل الحضاري بين الذات الجزائرية والآخر الغربي.

ومن الدراسات ذات الصلة أيضًا دراسة حموني آسية الموسومة بـــ: "**الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصـــرة: عطر الخطيئة لأمين الزاوي أنموذجًا**" (2020)، التي تناولت صورة الأنا والآخر بوصفهما عنصرين متلازمين في البناء الروائي، مؤكدة أن هوية الأنا لا تكتمل إلا من خلال علاقتها بالآخر وتفاعلها معه.

كذلك استفادت الدراسة من مقال سعدي اسعيد وبن بوزة مليكة بعنوان: "**ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة: رواية الملكة لأمين الزاوي نموذجًا**" (2021)، والذي ركز على تجليات العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر ومظاهر القبول والرفض التي تحكم هذه العلاقة داخل المتن الروائي.

وعليه، تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ **تمثلات الأنا والآخر في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"** إلى البحث في الكيفية التي تجلت بها صـــورة الأنا والآخر داخل المتن الروائي، والكشـــف عن طبيعة العلاقة التي نســـجتها الرواية بين الطرفين، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية:

كيف تمثل رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" صورة الأنا والآخر؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، من أبرزها:

- كيف تجلت تمثلات الأنا والآخر في الخطاب الروائي للرواية؟
- ما طبيعة العلاقة التي تربط الأنا بالآخر داخل الرواية؟
- ما أهم الآليات السردية التي اعتمدها الكاتب في بناء الأنا والآخر؟

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج السيميائي، لكونه الأنسب للكشف عن تمثلات الأنا والآخر داخل النص الروائي وتحليل مختلف تجلياتهما في دراسة البنية الحكائية والشـخصـيات، وبالمقاربة السـيميائية في تحليل بعض الرموز والدلالات التي أسـهمت في تشكيل العلاقة بين الأنا والآخر.

اعتمدت الدراســـة على مجموعة من المراجع النظرية والتطبيقية التي أســـهمت في بناء البحث كتاب "الأنا والآخر" لحسن حنفي، وكتاب "الهوية والاختلاف" لعبد الله إبراهيم، وكتاب

"تحليل الخطاب الروائي" لسعيد يقطين، وكتاب "بنية النص السردي" لحميد لحمداني، فضلاً عن مجموعة من الرسائل الجامعية والمقالات العلمية المتعلقة بثنائية الأنا والآخر والرواية الجزائرية المعاصرة.

لم يخلُ إنجاز هذا البحث من بعض الصعوبات، ومن أبرزها تداخل مفهومي الأنا والآخر وتشعب أبعادهما الفكرية والفلسفية، وتعدد المقاربات النقدية التي تناولت المفهومين واختلاف منطلقاتها، فضلاً عن صعوبة الإحاطة بجميع الدلالات الرمزية التي تزخر بها الرواية، إضافة إلى محدودية الدراسات المتخصصة التي تناولت الرواية من زاوية تمثلات الأنا والآخر بشكل مباشر.

ومن أجل الإجابة عن الإشكالية المطروحة قسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين؛ تناولنا في المدخل تطور الرواية الجزائرية وسياقها التاريخي. أما الفصل الأول فتضمن الإطار المفاهيمي والنظري لمفهومي الأنا والآخر، من خلال دراسة مفهوميهما وماهيتهما وأنماطهما المختلفة، ثم تناول صور التفاعل بينهما. في حين خصص الفصل الثاني للدراسة التطبيقية لرواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، حيث تناولنا تمثلات الأنا وتمثلات الآخر وآليات بنائهما السردية داخل النص الروائي.

وفي ختام هذه المقدمة، نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف على ما قدمه من توجيهات علمية وملاحظات قيمة أسهمت في إنجاز هذا العمل، كما نتقدم بالشكر إلى أساتذتنا الكرام الذين كان لهم الفضل في تكويننا العلمي، وإلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقراءة هذا البحث وتقويمه، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إتمام هذا العمل، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

مدخل

مدخل حول تطور الرواية الجزائرية وسياقها التاريخي

1) نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية ومضامينها

2) الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية فرة بعد الاستقلال

مدخل حول تطور الرواية الجزائرية وسياقها التاريخي

نشأة الرواية الجزائرية جاءت ضمن السياق العام لنشأة الرواية العربية، إذ تشترك معها في الظروف التاريخية والفكرية نفسها. ورغم أن بعض العوامل حالت دون إبرازها بشكل كافٍ، فإن ذلك لا ينقص من أهميتها، باعتبارها جزءًا أساسيًا من الأدب العربي وتعكس قضاياه وخصوصياته.[1]

ترتبط الرواية الجزائرية ارتباطًا وثيقًا بالرواية العربية، سواء من حيث المرجعيات المشتركة كالإسلام والقومية العربية، أو من خلال تشابه التجارب التاريخية مثل الاستعمار والاستبداد والظروف الاجتماعية والاقتصادية. كما عكست انشغالات عربية مشتركة، كقضية فلسطين وحركات التحرر في بعض البلدان العربية، إضافة إلى التفاعل مع التحولات السياسية والثقافية في العالم العربي[2]، استوعبت الرواية الجزائرية قضايا المجتمع الجزائري إلى جانب القضايا العربية والإسلامية والعالمية، فعكست مختلف الأبعاد الأيديولوجية والواقعية، متأثرةً بالظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية. كما لم تنشأ من فراغ، بل استمدّت مادتها من واقع المجتمع، معبّرةً عن طموحات الشعب وآلامه، سواء كُتبت بالعربية أو بالفرنسية، وهو ما يظهر في مسارها التطوري ومضامينها الفكرية.

أولا: نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية ومضامينها:

تُعدّ الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية متأخرة نسبيًا مقارنة بنظيرتها المكتوبة بالفرنسية، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن أولى البدايات السردية في الجزائر تعود إلى عمل "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد مصطفى بن إبراهيم (الأمير مصطفى) سنة 1849م. وقد اعتبر بعض الباحثين، مثل صالح مفقودة، أن هذه البداية قد تمثل انطلاقة مبكرة للرواية العربية الحديثة من الجزائر، غير أن هذا الرأي لم يحظَ بإجماع، بسبب ضعف العمل من الناحية اللغوية والتقنية، وهو ما دفع بعض النقاد، مثل عمر بن قينة، إلى التحفظ بشأن اعتباره

[1] – ينظر، أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5،2007 م، ص21.

[2] –المرجع السّابق، ص108.

أول عمل روائي عربي. ومع ذلك، فإن هذا النص يعكس آثار الاحتلال الفرنسي للجزائر وما ترتب عنه من مصادرة ممتلكات المؤلف وأسرته[1].

تلت هذه البدايات نصوص أخرى اتجهت نحو الشكل الروائي من حيث بناء الفكرة والحدث والشخصيات والصياغة الفنية، وكان من أبرزها المجموعة القصصية "**غادة أم القرى** " للكاتب أحمد رضا حوحو سنة 1947. وكما عالجت رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" موضوع العشق، فقد تناولت "غادة أم القرى" قضية المرأة، حيث يرمز العنوان إلى الفتاة الحسناء و"أم القرى" إلى مكة، وقد وُجِّه هذا العمل إلى المرأة الجزائرية المحرومة من الحب والعلم والحرية.[2]، تتناول كتابات أحمد رضا حوحو قضية المرأة الجزائرية، مدافعًا عن حقها في التعليم والحرية، ومبرزًا معاناتها من الحرمان والقهر.

واتُّهم أحمد رضا حوحو من بعض الأصوات المحافظة بالدعوة إلى تمرّد المرأة، غير أنه اعتمد في بناء روايته على الأسلوب الكلاسيكي القائم على العرض والعقدة والحل. وتُعدّ أعماله من التجارب الرائدة لغويًا وفنيًا، كما أسهم في الدفاع عن قضية المرأة وكان من أوائل من رسّخوا الرواية العربية في الجزائر.[3]

والملاحظ أن الرّواية الجزائريّة مرّت بعدّة مراحل هامةّ، ساهمت في ظهورها عدّة عوامل سياسيّة واجتماعيّة ....، ففي فترة ما بعد الاستقلال **أغلب مواضيع الرّواية الجزائرية هي الثّورة التّحريرية وآثارها الاجتماعيّة على المجتمع الجزائريّ.**

ففي **السّتينيات** لا تكاد تعثر على عمل روائيّ، مكتوب باللّغة العربيّة غير عمل واحد وهو صوت الغرام لمحمد منيع، نظرا للظّرف التّاريخيّ الذي ميّز تلك الفترة، بكلّ أبعاده الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، إذ انشغل الجزائريون بمعركة البناء والتّشييد بعد

[1] – أحلام معمري، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلّة الأثر، دورية علمية محكمة تصدر فصليا عن كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، دط، العدد 20، جوان، 2014م، ص57. بتصرف

[2] – فؤاد علجي، الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربيّة بحث في التأســـيس والتأصـــيل، مجلّة الكلم، المجلد6، العدد2، 2021م، ص668.

[3] – أحلام معمري، نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة، ص58. بتصرف

الثّورة، وتعتبر هذه الرّواية قفزة نوعيّة على الأعمال التي سبقتها، وكتقييم للكتابات التي سبقت السّبعينيات نرى أنّها لم تتطور صوب اتّجاهات فنّية واضحة، بل ظلّت مجرّد محاولات معزولة لم ترق إلى المستوى المطلوب.[1]

ثانيا: الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية فرة بعد الاستقلال

وقد شهدت فترة **ما بعد الاستقلال** الولادة الثّانية والأكثر نضجا للرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة، فإذا كانت الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة ظهرت قبل الاستقلال، فإنّ البداية الحقيقية للرّواية الجزائريّة العربيّة في شكلها الفنّيّ وبنيتها السّرديّة الحديثة، لم تكن إلّا بداية السّبعينيات بالرّغم من ظهور بوادر لها قبل هذا التّاريخ إلّا أنّ أوّل رواية فنية جزائرية مكتوبة باللغة العربيّة ،ظهرت سنة 1970م لعبد الحميد بن هدوقة بعنوان ريح الجنوب، وقد كتبت في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدّي عن الثورة الزّراعية وقد أنجزت الرّواية، تزكيّة للخطاب السّياسيّ الذي كان يلوّح بآمال واسعة للخروج بالرّيف من عزلته ورفع الضّيم عن الفلّاح ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان [2].

وقد رصدت الرّواية أحوال المجتمع الجزائريّ، ورصدت هموم الفلّاح ومشاكله وألاعيب الإقطاع "والشّيء الجديد الذي جاءت به هذه الرّواية هو الاهتمام بالأرض، وارتباط الإنسان الجزائريّ بها، هذا الإنسان الذي كافح من أجلها، كما كافح الاستعمار، وتعدّ رواية ريح الجنوب علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري "[3]، وإلى جانب هذه الرّواية ظهرت روايات أخرى، كرواية اللّاز سنة 1972م، و" قد كان الطاهر وطار مرتبطا في ممارساته الكتابية الروائية باللّحظة الزّمانية والمكانية والتّاريخية لمحيطه ارتباطا حميميا، وقد سمح له انتماؤه الأيديولوجيّ إلى الفكر الاشتراكيّ بإضفاء طابع الالتزام على تجربته الرّوائية "[4]، ففي اللّاز يتناول الطّاهر

[1] – أحلام معمري، المرجع السابق، ص59.

[2] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ص 198. بتصرف

[3]– فؤاد علجي، الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربيّة بحث في التأسيس والتأصيل، ص674.

[4] – بوشوشة بن جمعة، الرواية العربية الجزائرية (أسئلة الكتابة والصيرورة)، دار سحر للنشر، ط1, 1998م، ط1، ص11.

وطّار الصّراع بين الثّوار والمستعمر الفرنسيّ من جهة، وبين أفراد الخليّة من جهة أخرى، وإلى جانب اللّاز نجد الزّلزال، وهي حكاية مجيء إقطاعي من العاصمة، ليتمرّد على قوانين الثّورة الزّراعية ويتحايل كي لا يضيّع أملاكه.

وجاءت بذلك أعمال الطّاهر وطّار لتؤرّخ لكلّ التّغيرات والتّطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال، وقد كانت للإغراءات **الأيديولوجية** التي تميّزت بها الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال وطّار تتّسم بنوع من التّلقائية والرّؤية والشّمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدليّة بين الفرد وأفكاره وأفعاله والحياة بكلّ صراعاتها[1]

وما يمكن قوله أنّ جيل السّبعينيات يعدّ الجيل الأوّل الذي أسّس بحق الأرضية الروائية الجزائرية ظهرت فيه الرّواية الفّنية النّاضجة بإجماع الباحثين والنّقاد، وقد تصدّرتها الرّوايات التّالية: "ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة 1971م، وما لا تذروه الرّياح لمحمد عرعار العالي 1972م، واللّاز للطّاهر وطّار 1972 م والزّلزال 1974 م، وعرس بغل 1978والحوات والقص 1980م ، والموت والعشق في زمن الحرّاشي، ونار ونور لعبد المالك مرتاض 1975 م، و طيور في الظّهيرة لمرزاق بقطاش1976م، وحوريّة للعربي عبد المجيد 1976 م، والشّمس تشرق على الجميع لإسماعيل غموقات." [2]

وما لاحظناه أنّ الروائيين خلال هذه الفترة حاولوا التّعبير عن مخاوفهم من الرّاهن الجديد، وقد انتقلوا من الحديث عن الثّورة وأحداثها إلى الحديث عن مشاكل الطّبقة الكادحة وذلك بالتّأسيس لرواية جزائريّة وباللغة العربيّة لتعبّر عن الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة والأدبيّة وعن قضايا المجتمع الجزائري المختلفة.

أمّا في **الثّمانينيات** فإنّ أغلب ما كتب يصبّ في قالب تفسير ما حدث للمجتمع الجزائريّ بعد التّحرّر والاستقلال، "ومن التّجارب الرّوائيّة في هذه الفترة نذكر: روايات وسيني الأعرج

[1] – إدريس بوديبة، الرّؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، شـركة أشـغال الطّباعة، قسـنطينة، ط1، 2000م، ص ص 44-45. بتصرف

[2]– عبد الله أبو الهيف، الإبداع السّردي الجزائريّ، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دط، 2007م، ص6.

مثل وقع الأحذية الخشنة سنة1981 م، وأوجاع رجل غامر صوب البحر سنة 1983 م، ورواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش سنة 1982م، إضافة إلى روايات الحبيب السّائح زمن النّمرود سنة 1985م، وأعمال الرّوائي جيلالي خلاص مثل: رواية رائحة الكلب 1989م، ورواية حمائم الشفق 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش رواية البزاة سنة1982م، ورواية عزّوز الكابران سنة 1989م، كما أخرج رشيد بوجدرة عدّة أعمال روائيّة ندكر من بينها رواية التفكك سنة 1982م، ومعركة الزّقاق 1986م."[1]

وقد شهدت الرّواية الجزائرية تحولا كبيرا خاصة بعد أحداث الخامس من أكتوبر من سنة 1988م إذ يعدّ هذا الحدث نقطة انعطاف في مسار الرّواية الجزائريّة، هذا التاريخ الذي يعدّ نقطة تحول أصابت المجتمع الجزائري فغيرت خلفياته ومتكآته كلّها، وغيرت نشاطه الأدبي.[2]

فقد عرفت الرّواية جرأة لا مثيل لها خاصة بعد الفترة التي شهدت تصدّع المعسكر الشّرقي، فقد استطاع الرّوائيون الخروج من الواقعيّة الاشتراكيّة التي ميّزت جيل السبعينيات، فبعد أحداث أكتوبر 1988م، توفّر مناخ الحرّية التي أفرزها دخول الجزائر مرحلة اختيارات سياسيّة واقتصاديّة جديدة بزوال سياسة التّعددية الحزبية فقد اعتبرت حرّية التّعبير في الدّستور حقّا من حقوق الإنسان.

ولابدّ للرّوائي أن يعبّر عن موقفه ممّا يحدث في الحقل السّياسي والاجتماعيّ، الذي تناول الأزمة السّياسية، فخصوصية أيّ كتابة تكمن في ارتباطها بسياق زمنيّ معيّن، وهذا ما تجلّى خاصة في **رواية التّسعينيات** فقد حاول الأدب الجزائري والرواية الجزائرية خلال فترة التسعينيات رصد مختلف التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائريّ، بوصفها الفنّ الذي استوعب كل المضامين الاجتماعيّة والسّياسيّة خاصة بعد الأزمة، التي حلّت بالمجتمع، والتيّ مسّت كل طبقاته، فأخذت الرّواية الجزائريّة منعرجا آخر، عالج موضوع الأزمة الرّاهنة وآثارها،

---

[1] – بوشوشة بن جمعة، التجريب وحداثة السّردية في الرّواية العربيّة الجزائريّة، المطبعة المغاربية للطباعة والنش، تونس، ط1، 2005 م، ص7.

[2] – فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائريّ، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر ط1، 2009م، ص 37.

فاتّخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائريّة والعنف الممارس على المجتمع الجزائريّ موضوعا ومادة لها.

وقد كانت الكتابة الوسيلة الوحيدة التي يملكها الكاتب لتجاوز محنته من خلال التّنديد بمختلف الجرائم المرتكبة ضدّ الشّعب الجزائري، والرّوائيّ الجزائريّ وجد نفسه بين **نار السّلطة وجحيم الإرهاب**، فعبّر عن الحالة التي آلت إليها الجزائر، ومثّل هذا الاتّجاه مجموعة من الروائيين الجزائريين؛ أمثال واسيني الأعرج في "سيّدة المقام"، التي تناول فيها معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصّامدة، ويرجع سبب المعاناة إلى نظام السّلطة الرّافض لكلّ مظاهر التقدم، والرّواية **تعبّر رِؤية الكاتب الأيديولوجية** حول التّغيرات السّياسية والاجتماعيّة والثّقافية التي طرأت على المجتمع الجزائريّ.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي لمفهومي الأنا والآخر

المبحث الأول: الأنا بين التحديد اللغوي والاصطلاحي وبنيتها المفهومية

المبحث الثاني: الآخر بين التحديد اللغوي والاصطلاحي

المبحث الثالث: صور التفاعل بين الأنا والآخر

تمهيد:

يُعدّ جدل الأنا والآخر ظاهرة ضاربة في القدم، إذ تقوم هذه العلاقة في الواقع الإنسـاني على نوع من التوتر الذي قد يتطور أحيانًا إلى تعارض حاد أو حتى تضـاد. وقد برزت هذه الثنائية بوضوح في السرد العربي، مدفوعة بإحساس متزايد بفقدان الهوية، ما دفع الأنا إلى البحث عن ذاتها في مواجهة آخر يهيمن عالميًا، رغم أن وجوده يظل عنصـرًا ضروريًا في تشكيل وعيها الجماعي.

ومع تطور الدراسات المقارنة في العصر الحديث، شهدت هذه المفاهيم والمصطلحات مزيدًا من التبلور، حتى أصبحت من الركائز الأساسية في هذا الحقل المعرفي. وتُعد ثنائية الأنا والآخر من أبرز الثنائيات التي يعتمد عليها الدرس المقارن، خاصة فيما يتصل بتحليل مواقف كل طرف من الآخر، واستكشاف الصور والأفكار المتبادلة، سواء كانت واقعية أم متخيلة، والتي تتشـكل في وعي كل منهما. ومن هنا تبرز أهمية الوقوف على طبيعة هذين المفهومين، وفهم طبيعة العلاقة التي تربط بينهما.

المبحث الأول: الأنا بين التحديد اللغوي والاصطلاحي وبنيتها المفهومية

يُعد مفهوم الأنا من المفاهيم المحورية التي شغلت اهتمام العديد من الحقول المعرفية، نظراً لارتباطه الوثيق بالإنسان ووعيه بذاته وعلاقته بالآخر وبالعالم المحيط به. وقد تعددت المقاربات التي تناولت هذا المفهوم باختلاف المرجعيات الفكرية والفلسفية والنفسية والأدبية، الأمر الذي أدى إلى تنوع دلالاته وتعدد أبعاده المفهومية. فالأنا لا تقتصر على كونها مجرد ضمير لغوي يحيل إلى المتكلم، بل تتجاوز ذلك لتصبح بنية فكرية ونفسية تعبر عن هوية الفرد وإدراكه لذاته وموقعه داخل المجتمع.

ومن هذا المنطلق، تقتضي دراسة الأنا الوقوف عند مدلولاتها اللغوية والاصطلاحية، والكشف عن الأسس المفهومية التي تشكل بنيتها، باعتبارها مفهوماً متداخلاً تتقاطع فيه الأبعاد الذاتية والاجتماعية والثقافية. وعليه، يسعى هذا المبحث إلى تتبع مفهوم الأنا من حيث تحديده اللغوي والاصطلاحي، ثم إبراز أهم مكوناته ومرتكزاته المفهومية التي أسهمت في بلورة حضوره داخل الدراسات الإنسانية والأدبية.

أولا: مفهوم الأنا بين اللغة ولاصطلاح

1) لغة: عرّف "إبراهيم مصطفى" وآخرون في *المعجم الوسيط* "أنا" بأنه "ضمير رفع منفصل يُستعمل للمتكلم أو المتكلمة".[1]

يمكن اعتبار "الأنا" تعبيرًا عن ذات الشخصية وتمثيلًا لها، وقد ورد في *منجد اللغة والأدب والعلوم* أنه "ضمير رفع للمتكلم، والأنانة قولك أنا." [2]

2) اصطلاحا: يرتبط مفهوم "الأنا" ارتباطًا وثيقًا بالآخر، إذ لا يمكن إدراك دلالة أحدهما بمعزل عن الثاني، فالعلاقة بينهما تكاملية تقوم على التفاعل والتقابل. ومن ناحية أخرى، يواجه الباحث صعوبة في تحديد مفهوم "الأنا" وضبطه اصطلاحيًا، إذ يُعد من المفاهيم المراوغة التي يصعب إخضاعها لتعريف دقيق، كونه يتداخل بشكل واسع مع عدد من

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، (د.ن)، (د.ت)، ص 28.

[2] لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان، ط3، 1991، ص 19.

الحقول المعرفية، حيث "فهو مصطلح مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية (علم النفس، الفلسفة، علم الاجتماع، علوم العربية)".[1]

يرتبط مصطلح "الأنا" ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الذات، إذ يتقاطع معه في كثير من الدلالات والاستعمالات. ويُعد مفهوم "الأنا" من المفاهيم متعددة المعاني، حيث "متعدد الدلالات يتعدد استخدام المنظرين فيرمز له مرة بالأنا وأخرى بالذات." [2]

يُحيل مفهوم "الأنا" أو الذات إلى الفرد بوصفه كيانًا قائمًا بذاته، غير أنّ وجوده لا يُتصوَّر بمعزل عن الآخر، إذ يفترض حضوره ضرورةً وجود هذا الأخير. ومن ثمّ، فإنّ تصور الأنا دون الآخر يفتقر إلى المنطق والواقعية، لأن العلاقة بينهما قائمة على التفاعل والتقابل. كما أنّ ممارسة الأنا لتفوقها الثقافي، بمختلف أبعاده، تظلّ رهينة بوجود الآخر، فلا يتشكل الوعي بالذات في غيابه.[3]

وانطلاقًا من ذلك، تتجلى قيمة "الأنا" في ذاتيتها من خلال تقابلها مع الآخر، حيث لا تُفهم إلا في سياق هذه العلاقة الثنائية. فالأنا "تعني دائمًا إبراز نقيض الذات، أي شيء مختلف أو شخصًا ما في مواجهة شخص آخر".[4] ويُقارب معنى مصطلح "الأنا" في الفلسفة مفهوم النفس، حيث يُستعمل للدلالة على الكيان الداخلي الواعي للإنسان.

تعود بدايات التفكير في مفهوم الذات إلى الفيلسوف "**روني ديكارت**" **(1596-1560)**، الذي صاغ فكرته الشهيرة في مقولته: "أنا أفكر إذا أنا موجود[1]." ويعني ذلك أن وجود "الأنا" عند ديكارت هو وجود عقلي سابق على الوجود الجسدي المتجسد في المادة، مما يدل على أسبقية العقل على الجسد واستقلاله عن القيود المادية المرتبطة به، وعن أي

---

[1]- عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2، 2009، ص 187.

[2]- سلاف بوحلايس، صورة الأنا والآخر في شعر فكتور هيجو، متاح على الموقع: www.manifest.univ-ouargla.dz ، تاريخ الزيارة: 2026/02/15.

[3]- أحمد عبد الحليم عطيّة، جدل الأنا والآخر: قراءات نقدية في فكر حسن حنفي، ط1، 1997م، ص 122.

[4]- إيغور كون، البحث عن الذات: دراسة في الشخصية ووعي الذات، ترجمة: غسان أدب نصر، منشورات دار معد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1992، ص 11.

وجود آخر قد ينفي البعد الفكري. ومن هذا المنطلق يرى ديكارت أن الفكر مرتبط بالوجود، إذ إن وجود الإنسان يستلزم بالضرورة ممارسة التفكير فيما يحيط به، وهذا التفكير ينطلق من الشك ليقوده إلى حقيقة أساسية مفادها اقتران "الأنا" بالفعل الفكري. فحيث يوجد الأنا يوجد التفكير، وحيث يوجد التفكير يثبت الوجود. ومن خلال هذا التصور الفلسفي بلور ديكارت مفهوم "الأنا المفكرة" بوصفها دلالة على الوجود، والذي بدونه لا يتحقق وجود الذات.

يرتبط مفهوم "الأنا" في علم النفس باسم "**سيغموند فرويد**" **(1856-1939)**، أحد أبرز رواد مدرسة التحليل النفسي، حيث يرى "أن السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشخصية وخاصة من خلال علاقته بوالديه".[2]

ثانيًا: ماهية الأنا وتكوّنها

لقد حظيت الذات الإنسانية منذ العصور القديمة باهتمام الفلاسفة اليونان، حيث شكلت محورًا أساسيًا في التفكير الفلسفي، ثم تطور هذا الاهتمام عبر مختلف المراحل التاريخية، ليتعمق أكثر مع التراكمات الفكرية الحديثة والمعاصرة. غير أنّ مفهوم "الأنا" ظلّ مفهومًا غير ثابت، إذ يتغير ويتعدد تبعًا لاختلاف التصورات الفلسفية والنفسية التي يقدمها كل مفكر ومنظّر.

وتتحدد الأنا بوصفها كيانًا لا يمكن فهمه بمعزل عن علاقته بالآخر، إذ تتشكل عبر التفاعل والتواصل داخل شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية المتداخلة. فالأنا ليست معطى جامدًا، بل هي خبرة شعورية ديناميكية تؤدي وظيفة أساسية تتمثل في توحيد مختلف أنماط النشاط الإنساني، سواء كانت هذه الأنماط واعية أو غير واعية، مما يجعلها إطارًا جامعًا لبناء الشخصية وتماسكها النفسي.[1]

ومن هذا المنظور، تُفهم الذات على أنها النفس البشرية بما تحمله من خصائص ومكونات متعددة، تشمل الأبعاد الثقافية والنفسية والإيديولوجية، إضافة إلى ما تتضمنه من

[1]- سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 7.

أفكار وطموحات وصـراعات داخلية. فهي بذلك تمثل مركز الشـخصـية في الإنسـان، حيث تتشكل من خلالها ملامح الهوية الفردية ورؤيته لذاته وللعالم المحيط به.[1]

وبناءً على ذلك، فإن الأنا ليست مجرد مفهوم نظري مجرد، بل هي بنية مركبة تتشكل داخل سـياق اجتماعي وثقافي، وتتكامل عناصـرها من خلال التفاعل المسـتمر مع البيئة والآخر، مما يجعلها في حالة بناء دائم ومستمر.

وتنمو الذات الإنسانية وتتكشف قدراتها من خلال تفاعلها المستمر مع البيئة المحيطة بها، أي ضمن الوسط الاجتماعي والثقافي الذي تنتمي إليه، حيث يبرز الشعور بالأنا بشكل واضح عبر العلاقة الجدلية القائمة بين الذات والآخر، إذ لا يمكن فهم الأنا إلا في سياق هذا التلازم والتفاعل المتبادل.[2]

وانطلاقًا من هذا التصـور، فإن الأنا لا تتشـكل في فراغ، بل تنبثق منذ بداياتها الأولى من عناصـرها الثقافية والحضـارية واللغوية والإيديولوجية والدينية، إضـافة إلى مختلف المكونات التي تحيط بها داخل المجتمع الذي تعيش فيه. فوعي الفرد بذاته لا ينفصـل عن وعيه بهذه العناصر، بل يتأسس عليها ويستمد منها ملامحه الأساسية.

وعليه، فإن إدراك الأنا لذاتها ومقوماتها مثل اللغة والدين والانتماء الوطني يقودها بصـورة مباشـرة إلى إدراك وجود "الآخر"، بوصـفه الكيان المختلف عنها في هذه المقومات. ومن هنا تتحدد العلاقة بين الطرفين باعتبارها علاقة تمايز وتكامل في آن واحد، إذ لا يمكن للذات أن تحدد حدودها إلا عبر إدراك حدود الآخر المختلف عنها في الخصـائص والانتماءات.

ومن الناحية اللغوية، فإن مصـطلح "الأنا" في اللغة العربية يقابله في الفرنسـية(le moi) ، وفي الإنجليزية والألمانية(**Ego**) ، حيث يشير هذا الأخير في أغلب الاستخدامات إلى مفهوم "الذات" أو "الأنا" في بعدها النفسي والفلسفي.

---

[1]– سعد فهد الذويخ، المرجع السابق، ص ص 6-7.

[2]– نفسه، ص 8

أما في التحليل النفسي، فقد أكد سيغموند فرويد من خلال دراساته أن النفس الإنسانية تتكون من ثلاث مكونات أساسية، هي: الأنا **(Ego)** التي تمثل الجانب الواعي والمنظم للشخصية، والهو **(Id)** الذي يعبر عن الدوافع الغريزية البدائية، ثم الأنا الأعلى **(Super Ego)** الذي يمثل الضمير والرقابة الأخلاقية.[1]

وفي السياق الفلسفي، فإن مقولة ديكارت الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود" تكشف عن ارتباط الأنا بالفعل العقلي وبالوعي الذاتي، حيث تصبح الذات في هذا التصور قائمة على التفكير بوصفه أساسًا للوجود والمعرفة، بمعزل عن العالم الخارجي.

وبناءً على ذلك، فإن الأنا والآخر يشكلان ثنائية متلازمة لا يمكن الفصل بين طرفيها، إذ تتحدد هوية الذات من خلال علاقتها بالغير. فكلما تعمق وعي الإنسان بذاته، ازداد في الوقت نفسه إدراكه للاختلاف القائم بينه وبين الآخر، سواء كان هذا الاختلاف دينيًا أو ثقافيًا أو حضاريًا. فمثلًا، تتجلى "الأنا" في السياق العربي الإسلامي من خلال الدين واللغة والعقيدة والتفكير، في حين يتمثل "الآخر" في كل من يختلف عنها في هذه المحددات، مثل اليهود أو غير المؤمنين، مما يجعل عملية تشكل الهوية قائمة على التمايز والاختلاف.

ثالثا: أنماط الأنا

تتعدد تصورات "الأنا" وتختلف باختلاف المرجعيات الفلسفية والنفسية، غير أن من أبرز التصنيفات ما ورد في فلسفة هيجل ضمن كتابه *فينومينولوجيا الروح*، حيث يتم تقديم الأنا في أشكال متعددة تعكس درجات تطورها ووعيها بذاتها وبالواقع.

أ. الأنا الخالص

يقصد به الوعي البسيط الذي يقوم على التساوي الذاتي والسكينة الداخلية، حيث تكون الذات في حالة من التجرد من التعدد والتناقض الداخلي، أي إنها تحقق نوعًا من الوحدة مع نفسها دون انقسام أو تشتت. ويشير هيجل إلى أن هذا التعقل الخالص لا يتضمن في بدايته

[1]– محمد مصطفى زيدان، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، لبنان، ط1، 2013، ص 315.

مضـــمونًا محددًا، لأنه يقوم على وعي مجرد بالذات في بعدها الداخلي، حيث يكون الإيمان هنا حاملًا لمضـــمون غير قائم على التفكير المفهومي الدقيق، بل على مســـتوى من الوعي البسيط بالذات.[1]

وعليه، فإن "الأنا الخالص" يمثل مستوى من الوعي الذاتي المتجانس، الذي لا يعاني من التمزق أو الازدواجية، بل يقوم على إدراك بسيط ومباشر للذات بوصفها وحدة متماسكة.

ب. الأنا المحض

أما "الأنا المحض" عند هيجل، فهي تشـــير إلى الذات في بعدها المنفتح، أي الذات التي لا تنغلق على نفســـها، بل تنخرط في علاقات متعددة مع الواقع ومع الآخر. فهي لا تبقى محصـورة داخل حدودها الداخلية، بل تتجاوز ذاتها لتتفاعل مع مختلف أشـكال الوجود والخبرات، مما يجعلها في حالة انخراط مستمر في العالم الخارجي.[2]

وبهذا المعنى، فإن الأنا المحض هي ذات واعية بذاتها، لكنها في الوقت نفســه منفتحة على غيرها، إذ تتشـــكل من خلال التفاعل مع الثقافات والتجارب المختلفة، مما يمنحها طابعًا ديناميكيًا غير منغلق.

ج. الأنا البسيط

ويقصد به ذلك الشكل من الأنا الذي يمثل وحدة أولية بسيطة، حيث تكون الذات في حالة من التوسـط بين عناصـر متقابلة، وتتميز بكونها تحمل طابعًا جوهريًا في وجودها. إلا أن هذه الوحدة ليست ثابتة نهائيًا، بل هي نتيجة لتجربة أولية تتشكل عبر التفاعل والتعارض بين مكونات الوعي المختلفة.

ففي هذا المسـتوى، تظهر الذات في حالة من التوتر بين عناصـر متقابلة في البداية، غير أن هذا التوتر يؤدي تدريجيًا إلى إعادة بناء الوحدة داخل الوعي، حيث تتجاوز الذات حالة الانقسام لتصل إلى درجة من التوازن النسبي داخل التجربة الشعورية.

---

[1]– هيجل، فينومينولوجيا الروح، ترجمة د. ناجي المونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2006، ص 551–552.

[2]–نفسه ، ص 532

المبحث الثاني: الآخر بين التحديد اللغوي والاصطلاحي

يشكل مفهوم الآخر أحد المفاهيم الأساسية في الدراسات الإنسانية والأدبية، نظراً لارتباطه الوثيق بمسألة الهوية وبناء الذات. فلا يمكن للأنا أن تدرك وجودها أو تحدد ملامحها إلا من خلال علاقتها بالآخر، الذي يمثل الطرف المقابل لها في مختلف أشكال التفاعل الإنساني والاجتماعي والثقافي. ومن ثمّ، فإن مفهوم الآخر لا يقتصر على الدلالة على شخص أو جماعة مغايرة، بل يتجاوز ذلك ليحمل أبعاداً رمزية وفكرية تعكس طبيعة العلاقة القائمة بين الذات وما يحيط بها من اختلافات وتباينات.

وقد تنوعت المقاربات التي تناولت مفهوم الآخر باختلاف الحقول المعرفية؛ ففي المجال اللغوي يحيل إلى المغايرة والاختلاف، بينما اتخذ في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب دلالات أوسع ترتبط بالهوية والوعي والصراع والتفاعل الحضاري والثقافي. لذلك أصبح مفهوم الآخر أداة تحليلية مهمة لفهم العلاقات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، وكذلك للكشف عن آليات التمثيل والإقصاء والقبول داخل الخطابات المختلفة.

وعليه، يهدف هذا المبحث إلى الوقوف على مفهوم الآخر من خلال تحديد دلالاته اللغوية والاصطلاحية، ثم إبراز أهم أبعاده المفهومية التي أسهمت في تشكيل حضوره داخل الدراسات النقدية والأدبية، تمهيداً لاستثمار هذا المفهوم في تحليل تمثلات الآخر داخل المتن الروائي.

أولا: مفهوم الآخر بين اللغة ولاصطلاح

1) لغة: يُعرَّف "الآخر" في المعاجم العربية، ومن بينها لسان العرب، على أنّه اسمٌ يأتي على وزن "أفعل"، ومؤنثه "أُخرى"، وهو في أصله يحمل دلالة وصفية، لأنّ هذا الوزن غالبًا ما يُستعمل للدلالة على الصفات. كما أن تصغيره يأتي على صيغة "أُوَيْخِر"، وهو ما يعكس مرونة هذا اللفظ في الاستعمال اللغوي وتعدّد دلالاته[1].

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (أخ ر).

ويتّسع مفهوم "الآخر" ليشمل كل ما يغاير الذات أو الموضوع، فلا يقتصر على الأشخاص فقط، بل يمتدّ ليشمل الأشياء أيضًا، بحيث يُعبّر عن كل اختلاف قائم بين طرفين داخل نفس المجال أو خارجه[1]. وفي هذا السياق، يُستعمل "الآخر" للدلالة على أحد عنصرين يشتركان في نفس الجنس أو الفئة، غير أنّ أحدهما يتميّز عن الثاني بصفة أو اعتبار معيّن، فنقول مثلًا: "تحبّ الآخر"، أي أنّ المحبوب ليس هو الشخص المقصود ابتداءً، بل شخصٌ مختلف عنه داخل نفس الدائرة[2].

2) اصطلاحا: أمّا من الناحية الاصطلاحية، فيُفهم "الآخر" بوصفه نقيض "الأنا"، أي ذلك الكيان الذي يوجد خارج حدود الذات، ويُقرّ بوجوده باعتباره كيانًا مستقلاً عنها. ويرى عمر عبد العلي علام أنّ "الآخر" ليس مجرّد وجود خارجي، بل هو بناء مركّب من الصفات النفسية والاجتماعية والسلوكية والفكرية التي يُسقطها الفرد على غيره؛ فكلّ ما يمكن أن يُنسب إلى "الأنا" يمكن أن يُنسب كذلك إلى "الآخر"، خاصة عندما تقوم العلاقة بينهما على الاختلاف في الانتماء أو الفكر أو الجنس، وعندها تصبح "الأنا الأخرى" هي "الآخر"[3].

ومن زاوية فلسفية، يربط ميشال فوكو مفهوم "الآخر" ارتباطًا وثيقًا بالذات، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، في علاقة تشبه ارتباط الحياة بالموت. فالآخر، في تصوّره، يمثّل المجال أو الفضاء الذي يتشكّل فيه الخطاب، بل ويصل به الأمر إلى اعتباره بمثابة "الحدّ" الذي تنتهي عنده الذات، أو ما يشبه الموت بالنسبة للجسد الإنساني[4].

---

[1]– حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب: صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص 17.

[2]– أحمد مختار عمر، المعجم العربي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 11.

[3]– عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع والمعلومات، ط1، 2005، ص 17

[4]– قادة محمد، "الحوار الثقافي بين نحن والآخر من منظور عبد الملك مرتاض"، مجلة، مج 16، ع 02، جامعة مستغانم، 2020، ص 325.

ثانيا: أنماط الآخر

يخضـــع مفهوم "الآخر" بدرجة كبيرة لتأثير الذات، إذ تســهم هذه الأخيرة في تشــكيل صـوره المتعددة وتحديد ملامحه، خاصــة إذا علمنا أن الوعي بالذات لا يتحقق إلا من خلال الوعي بالغير؛ فالإدراك الذاتي يتلازم دائمًا مع إدراك الآخر[1]. وفي هذا السياق، يبرز تصور هيجل الذي ربط نشـأة وعي الذات بعلاقتها بالآخر، حيث اعتبر أن الوعي بالذات هو نتيجة عملية انعكاس تنطلق من العالم الحســـي والمدرك، لتعود إلى الذات عبر تجربة الاختلاف والمغايرة، مما يعني أن الأنا لا يمكن أن تتأسس إلا داخل شبكة علاقاتها مع الآخرين[2].

ومن جهة أخرى، يُنظر إلى "الآخر" بوصـفه مصـدر غنى للأنا ومنبعًا لتشـكلها، إذ تقوم العلاقة بينهما على نوع من التفاعل العاكس؛ فالأنا تُعدّ الأصـــل، بينما يمثّل الآخر الصورة التي تنعكس عليها، فتتعرف من خلالها على ذاتها وتدرك حدودها[3].

وانطلاقًا من ذلك، يتبيّن أن الأنا تؤدي دورًا محوريًا في رسم حدود الآخر وتحديد خصائصه، حيث يتخذ هذا الأخير شكلين رئيسيين:

- **الآخر الداخلي:** ويتمثل في كل اختلاف ينشـــأ داخل الجماعة الواحدة، أي بين أفراد يشـــتركون في نفس الإطار العام (كالوطن أو المجتمع)، غير أنهم يختلفون في الأفكار أو المعتقدات، بحيث تصبح الفكرة أو العقيدة عاملًا محددًا لهوية جديدة داخل جماعة "النحن"[4].
- **الآخر الخارجي:** وهو الذي يتجلى خارج حدود الجماعة، ويظهر في صـــور متعددة تبعًا للزاوية التي يُنظر منها إليه، كما يتحدد وفق عناصر مثل الانتماء الجغرافي، واللغة، والثقافة، والتاريخ المشترك، وحتى التصنيف العرقي[5].

---

[1]– علي حرب، العالم ومأزقه: منطق الصدام ولغة التداول، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 281.

[2]– هيجل، علم ظهور العقل، ضمن: المعجم الفلسفي، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص 132.

[3]– جيل دولوز، نسق المتعدد (ترجمة: مانع فيليب)، ط1، دمشق، 2002، ص 12.

[4]– همت بسيوني عبد العزيز، الشخصية المصرية وصورة الآخر، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 67.

[5]– دلال البزري، "الآخر: المفارقة الضـرورية"، ضـمن: الطاهر لبيب وآخرون، صـورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، ص 101.

وفي المعنى العام، يُفهم "الآخر" على أنه الغير أو المخالف، أي كل ما يقابل الذات ويغايرها، وهو أحد المفاهيم الأساسية التي تُبنى عليها علاقة التمايز؛ إذ يُطلق على كل ما ليس هو الذات، ومن خلال معرفته يمكن للإنسان أن يعي ذاته بشكل أعمق[1].

يمكن تصنيف مفهوم "الآخر" وفق مجموعة من المعايير التي تعكس أبعاد الاختلاف بين الأفراد والجماعات، ومن أبرز هذه التصنيفات:

- **الآخر النوعي:** ويقوم على التمييز البيولوجي بين الذكر والأنثى، حيث يُبنى الاختلاف على أساس الجنس.
- **الآخر الديني:** ويُحدَّد وفق الانتماء الديني، مثل الاختلاف بين المسلمين والمسيحيين واليهود وغيرهم.
- **الآخر داخل الدين الواحد:** ويشير إلى التمايز القائم بين الفرق والطوائف داخل نفس الدين، كالتمايز بين السنة والشيعة أو غيرهما.
- **الآخر السلطوي:** ويتمثل في العلاقة القائمة على التفاوت في السلطة، مثل العلاقة بين الحاكم والمحكوم.
- **الآخر العنصري:** ويُبنى على الاختلاف العرقي أو اللوني، كالتفريق بين الأبيض والأسود.
- **الآخر المجالي (المكاني):** ويتعلق بمكان الإقامة، مثل التمييز بين الريفي والحضري[2].

ولا يعكس هذا التعدد في صور "الآخر" سوى تعدد الزوايا التي تنظر من خلالها الذات إليه؛ إذ لا يحمل هذا المفهوم دلالة ثابتة، بل يتغير تبعًا للسياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي يُستعمل فيها[3]. وعلى الرغم من اختلاف الأنا عن الآخر في عدة

---

[1]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص 133.

[2]– همت بسيوني عبد العزيز، الشخصية المصرية وصورة الآخر، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 68.

[3]– إيهاب النجدي، صورة الآخر في الشعر العربي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2008، ص 10.

مســـتويات، إلا أن العلاقة بينهما تظل حتمية، حيث لا يمكن لأي منهما أن يتحدد دون الآخر.

فالاختلاف، سـواء كان قائمًا على الجنس أو السـلوك أو الثقافة أو العرق، قد يتحول إلى مصـدر صـراع وعداء، لكنه في المقابل يمكن أن يشكّل أرضـية للتفاهم والتواصـل إذا ما أُحسن التعامل معه[1]. ومن هنا تتسم علاقة الأنا بالآخر بطابع مركّب ومعقد، إذ يمثل الآخر شرطًا ضـروريًا لتحرر الذات من انغلاقها، ووسـيلة لإعادة اكتشـافها من خلال الانفتاح على ما لدى الغير من عناصر قوة، وهو ما يساهم في تجددها وتجاوز حدودها الضيقة[2].

[1]– همت بسيوني عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 76.

[2]– سمير مرقس، الآخر، الحوار، المواطنة: مفاهيم وإشكاليات (خبرات مصرية وعالمية)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005، ص 19.

المبحث الثالث: صور التفاعل بين الأنا والآخر

إنّ الإنســـان يُعدّ بطبعه كائنًا اجتماعيًا، لا يمكنه أن يعيش خارج إطار التفاعل مع الآخرين، إذ لا تتحقق إنسانيته إلا ضمن شبكة من العلاقات التي تربطه بمحيطه الاجتماعي والثقافي. وهذه العلاقات قد تتخذ أشـــكالًا متعددة، فقد تكون قائمة على التعاون والتكامل والتفاهم، كما قد تتأســـس أحيانًا على الصـــراع والتنافس والاختلاف. غير أنّ الثابت في كل ذلك هو أنّ وجود "الأنا" لا يمكن فصله عن وجود "الآخر"، بل إن أحدهما يُعد شرطًا لوجود الآخر، بحيث لا يمكن تصور ذات مستقلة عن غيرها، ولا "أنا" دون "أنت" في المقابل.

أولا: تمثلات العلاقة بين الأنا والآخر

وفي هذا السياق، تؤكد بعض التصورات الفكرية أن إدراك الآخر أو حتى الإحساس بحضوره لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود ذات فاعلة ومؤسسة لهذا الإدراك، أي "أنا" قادرة على إنتاج معنى الآخر وتحديد حدوده داخل الوعي[1] ومن ثم، فإن العلاقة بين الأنا والآخر ليست علاقة عرضية أو ثانوية، بل هي علاقة بنيوية تُشكل أساس الوعي الإنساني ذاته، بحيث يستحيل تصور الفرد بمعزل عن هذا التفاعل المستمر مع الغير.[2]

وعليه، فإن العلاقة بين الأنا والآخر تتسم بطابع جدلي دائم، فهي ليست علاقة سكون أو انفصـــال، بل علاقة حركة وتفاعل مســـتمرين. فعلى الرغم من أن هذه العلاقة قد تشـــهد لحظات من التوتر أو الصراع أو حتى الإقصاء، إلا أن ذلك لا يلغي حقيقة الارتباط الجوهري بين الطرفين، حيث يظل كل منهما في حاجة إلى الآخر، سواء على مستوى الوجود أو على مســـتوى بناء الهوية. فالأنا لا تكتمل إلا من خلال انفتاحها على الآخر، كما أن الآخر لا يتحدد إلا في مقابل هذه الأنا.

---

[1]– حاتم زيدان، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضـمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشـعرية: دراسـة في قصـائد مختارة من ديوان مسـقط قلبي لسـمية محنش، مجلة الإقر، العدد 29، جامعة قاصـدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسـمبر 2017، ص 202.

[2]– فاضل أحمد العقود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص 33

ومن هذا المنطلق، يمكن للأنا أن تنخرط في تفاعل مباشـــر مع الآخر في مجالات متعددة، كالمجال المعرفي والثقافي والتعليمي والحضـــاري، وهو ما يســـمح بحدوث تبادل مستمر للخبرات والقيم والتصورات. هذا التفاعل يسهم في إعادة تشكيل الوعي الذاتي للأنا، ويجعلها أكثر قدرة على فهم ذاتها عبر مرآة الآخر، وفي الوقت نفســـه أكثر وعيًا بحدودها واختلافاتها.

غير أن هذا التفاعل لا يعني بالضـرورة تحقق الانسـجام أو الذوبان بين الطرفين، بل إن العلاقة بينهما تظل محكومة بمنطق التمايز والاختلاف. كما يجب التنبيه إلى أنّ ثنائية الأنا والآخر لا تختزل في بعدها الثقافي أو الجغرافي، بحيث يتم حصـــر الأنا في الانتماء العربي والآخر في الانتماء الغربي، بل إن مفهوم الآخر أوســـع من ذلك بكثير، إذ يمكن أن يوجد داخل الســـياق الواحد، ســـواء داخل المجتمع نفســـه أو حتى داخل الذات الفردية، في صورة صراعات داخلية أو تناقضات نفسية.

كما قد تتخذ هذه العلاقة أحيانًا طابعًا صـراعيًا، حيث تسـعى الأنا إلى فرض ذاتها أو حتى إلغاء الآخر، في مقابل سعي الآخر بدوره إلى إثبات وجوده. ومن هنا، فإن العلاقة بين الطرفين قد تتحول إلى علاقة إقصاء أو هيمنة أو تنافس غير متكافئ.

يمكن فهم العلاقة بين الأنا والآخر ضمن منطق الثنائيات المتقابلة التي تسود مختلف الظواهر الإنسانية، مثل ثنائية الحياة والموت، الخير والشر، الحق والباطل، الصواب والخطأ، الذكورة والأنوثة، وغيرها من الثنائيات التي تقوم على التضـــاد أكثر من قيامها على التطابق أو الانســـجام[1]. غير أن وجود هذا التناقض لا يعني إلغاء أحد الطرفين، بل يؤكد أن العلاقة بينهما قائمة على التفاعل الجدلي المستمر، حيث يتحدد كل طرف من خلال نقيضه.

وبذلك، يتضـــح أن العلاقات الإنســـانية في جوهرها لا تقوم على مبدأ التماثل الكامل، بل على مبدأ الاختلاف والتغاير، حيث تتحكم فيها عوامل متعددة، من أبرزها المصـــالح

[1]– سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، المؤسسة الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 9.

الفردية والجماعية، والاعتبارات الثقافية والاجتماعية، والتي قد تدفع الأنا إلى الاقتراب من الآخر أو الابتعاد عنه، أو حتى الدخول في علاقة صراع أو تعاون حسب السياق والظروف.

كما تتجلى علاقة "الأنا" بـــ"الآخر" في صورتين أساسيتين تتراوحان بين الحوار والصدام، وهو ما يدل على أن الآخر ليس عنصرًا مرفوضًا على الدوام، كما أنه لا يحظى بالقبول المطلق في جميع السياقات، خاصة في ظل اختلافات الانتماء الديني والفكري والثقافي. فالعلاقة بين الطرفين ليست أحادية الاتجاه، بل تتأرجح بين الانفتاح والانغلاق، وبين التواصل والتنافر، وفقًا للظروف التاريخية والاجتماعية التي تحكمها.

وعلى الرغم من وجود مساحات من التفاهم والتواصل التي تجمع بين الأنا والآخر، فإن ذلك لا ينفي إمكانية بروز حالات من الصراع والتوتر بينهما. ويُعزى هذا الصراع في كثير من التصورات إلى شعور الأنا بتفوق الآخر الغربي في بعض المجالات الحضارية والتقنية، مقابل الإحساس بالضعف أو التبعية في السياق الشرقي، الأمر الذي قد يولّد حالة من التوتر النفسي والاجتماعي. وفي هذا الإطار، قد ينشأ لدى الأنا شعور بالحرمان أو التهميش، مما يؤدي إلى إنتاج ردود فعل عدائية تجاه الآخر.

ومن جهة أخرى، تميل الأنا في كثير من الحالات إلى النظر إلى ذاتها باعتبارها النموذج الأكمل أو الأفضل، في حين يتم تقديم الآخر بوصفه نقيضًا أو مخالفًا أو حتى مصدرًا للخطأ والاختلاف. ومن هنا تتشكل ثنائية قائمة على التضاد بين الأنا والآخر، وهي ثنائية تسهم في إنتاج أشكال متعددة من الصراع داخل مجالات الحياة المختلفة، سواء كانت ثقافية أو معرفية أو اجتماعية.

ومع ذلك، لا يمكن اختزال العلاقة بين الطرفين في بعدها الصراعي فقط، إذ نجد في السياق الحضاري الإسلامي نماذج أخرى تؤكد على بعد التفاعل الإيجابي والحوار البنّاء بين الأنا والآخر، حيث تقوم هذه العلاقة على مبدأ التواصل القائم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا البعد من خلال الدعوة إلى الحوار

والتسامح ونبذ العنف في التعامل مع المختلف، مما يعكس تصورًا يقوم على إمكانية التعايش والتفاهم بين الأطراف المختلفة.

وبناءً عليه، فإن الأنا لا يمكن أن تدرك ذاتها بشـــكل كامل إلا من خلال علاقتها بالآخر، كما أن الآخر بدوره يشـــكل مرآة تســـاعد على تحديد ملامح الأنا وتمييزها. فوجود الغير ليس عنصـــرًا ثانويًا، بل هو عنصـــر بنيوي في تشـــكل الوعي الذاتي، حيث لا تتحقق معرفة الذات إلا من خلال إدراك الاختلاف القائم بينها وبين غيرها.[1]

ومن هذا المنظور، تصبح العلاقة بين الأنا والآخر علاقة تكاملية من جهة، وصراعية من جهة أخرى، إذ إن التفاعل بينهما لا يخلو من التوتر، كما لا يخلو في بعض الســـياقات من التعاون والتبادل. غير أن الطابع الغالب في هذه العلاقة، بحسب بعض التصورات، يميل إلى الصـــراع والتنافس أكثر من الميل إلى الانســـجام الكامل، وذلك بحكم اختلاف المصـــالح وتباين الرؤى والتوجهات[2].

وبذلك، يمكن القول إن العلاقة بين الأنا والآخر تقوم على منطق معقد يجمع بين التناقض والتكامل في آن واحد، حيث تتداخل فيها الأبعاد النفســـية والثقافية والتاريخية، مما يجعلها علاقة ديناميكية غير مستقرة على حالة واحدة.

على الرغم من حضـــور البعد الصـــراعي في علاقة الأنا بالآخر، فإن هذه العلاقة لا تقتصر على التوتر والتضاد فقط، بل تتضمن أيضًا بعدًا آخر يتمثل في الإعجاب والانبهار بما حققه الآخر من تطور علمي وحضاري وتقني. وهذا ما جعل الإنسان الشرقي، في العديد من الســـياقات التاريخية، ينظر إلى الآخر بوصـــفه نموذجًا يمكن الاســـتفادة منه في مجالات متعددة، حيث يتحول الآخر إلى مصـــــدر إلهام يســـــاعد الأنا على تجاوز حالة التراجع أو التخلف، ويُشـــبه في هذا الســـياق بالشـــمعة التي تنير الطريق نحو التقدم والخروج من دائرة الضعف نحو أفق أكثر إشراقًا.

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، تر: خليل أحمد خليل، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط2، 2001، ج2، ص 124.

– [2]جيجخ صـــورية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، رســـالة دكتوراه (غير منشـــورة) ، جامعة بســـكرة، 2015–2016، ص 65.

وفي المقابل، تتجلى العلاقة بين الأنا والآخر في إطار أكثر حدّة من خلال منطق "الغالب والمغلوب"، حيث تُبنى هذه العلاقة على أســـاس تفاوت القوة والهيمنة. وفي هذا الســـياق، يُنظر إلى العلاقة مع الآخر على أنها لا تتحقق إلا ضـــمن هذا التوازن غير المتكافئ، إذ إن غياب هذا التمايز قد يؤدي إلى تلاشـي مفهوم الآخر نفسـه، وبالتالي فقدان عنصر الهيمنة أو التفوق الذي يميّزه[1]. ومن هذا المنطلق، يُقدَّم "الأنا" أحيانًا بوصفه الطرف المغلوب، في مقابل الآخر الذي يحتل موقع الغالب والمهيمن.

وبذلك، تصـــبح العلاقة بين الطرفين قائمة على منطق الهيمنة والتبعية، حيث يتحدد وجود أحدهما بمدى حضـوره أو غيابه في معادلة القوة. فإذا غابت هذه العلاقة التراتبية، فإن مفهوم "الآخر" قد يفقد دلالته داخل هذا التصـور، لأنه لا يتحدد إلا من خلال موقعه ضـمن هذه الثنائية القائمة على التفاضل.

ومن جهة أخرى، تُعد ثنائية الأنا والآخر من الثنائيات المركزية التي تؤســـس لفهم كثير من العلاقات الإنسـانية والثقافية، حيث تتجلى في صـور متعددة مثل: الشـرق/الغرب، العداوة/الصداقة، الشمال/الجنوب، التواصل/الصراع، المحلي/الأجنبي. وهذه الثنائيات لا تُعد مجرد تقابلات لغوية، بل هي بنى فكرية وثقافية تُسـهم في تشـكيل الوعي الجماعي، وتنعكس بشكل واضح في إنتاج الخطابات الثقافية والمعرفية المختلفة.

وفي الســياق الفلســفي الوجودي، يرى جان بول ســارتر أن العلاقة بين الأنا والآخر تتســـم بحركة دائمة من التوتر، تقوم على التبادل بين الفرار من الذات والتوجه نحو تحقيق وجود أصـيل، في مقابل حضـور الآخر بوصـفه عنصـرًا يحدّ من حرية الأنا أو يعيد تشـكيل وعيها. ووفق هذا التصور، فإن كل طرف يظل في حالة صراع وجودي مع الآخر، بحيث إن تحقق أحدهما قد يرتبط بغياب أو تراجع الطرف المقابل.[2]

---

[1]– الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر، ص 22.

[2]– جوزفين رزق الله فرج، "المفارقة في مفهومي الأنا والآخر في الفكر الوجودي (كيركغور وسارتر نموذجًا)"، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ص 842.

وبناءً على ذلك، فإن ثنائية الأنا والآخر ليست مجرد علاقة خارجية بين كيانين منفصلين، بل هي بنية عميقة متجذرة في الوعي الإنساني ذاته، تتداخل فيه مستويات الشعور واللاوعي، بحيث تصبح هذه الثنائية حاضرة في مختلف تمثلات الإنسان عن نفسه وعن العالم من حوله.[1]

ومع ذلك، فإن هذه العلاقة لا يمكن اختزالها في بعدها الصراعي فقط، إذ تشير بعض التصورات الفكرية الحديثة إلى أن الأنا في حاجة دائمة إلى الآخر، كما أن الآخر بدوره يحتاج إلى الأنا، في إطار علاقة تبادلية معقدة. غير أن بعض الطروحات الفكرية الغربية، مثل طرح صامويل هنتنغتون، قد ذهبت إلى تأكيد فكرة "صدام الحضارات"، حيث يرى أن العلاقات بين الثقافات الكبرى محكومة بالتوتر والصراع أكثر من التعاون والتفاهم.[2]

ثانيًا: جدلية الأنا والآخر بين المفارقة والاختلاف

لقد أفرزت ثنائية الأنا والآخر، منذ دخولها إلى مجال الدراسات الأدبية والفكرية الحديثة، تصورًا يقوم على التمايز بين ذاتين مختلفتين في البنية والمرجعيات، حيث لم تعد العلاقة بينهما علاقة تطابق أو اندماج، بل علاقة قائمة على الاختلاف والتقابل. وقد تجسدت هذه الثنائية في مجموعة من التقابلات المفهومية التي صاغت مختلف أبعاد الوعي الإنساني، مثل: (الذات/الغير)، (الشرق/الغرب)، (التواصل/الصراع)، (الأهلي/الأجنبي)، (الإيمان/الكفر)، (الغالب/المغلوب)، (المتحضر/المتخلف)، إضافة إلى ثنائيات دينية وثقافية مثل (مسلم/مسيحي/يهودي/ملحد). وتُعد هذه الثنائيات انعكاسًا لتراكمات تاريخية وثقافية ودينية وجغرافية أسهمت في تشكيل صورة "الآخر" داخل الوعي الإنساني.[3]

---

[1]– جيجخ صورية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2015–2016، ص 35.

[2]– صامويل هنتنغتون، منظّر في العلاقات الدولية وصاحب نظرية "صدام الحضارات"، وردت أفكاره في كتابه الشهير حول هذا الموضوع.

[3]– صوافي بوعلام، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، أحمد بن بلة 1، 2014–2015، ص 19

يُعتبر الاختلاف قانونًا كونيًا من القوانين الأساسية التي تحكم الوجود الإنساني، وهو ليس عيبًا أو نقصًا في أحد الطرفين، بل يمثل عنصرًا طبيعيًا من عناصر التنوع والتعدد. فالعلاقة بين الأنا والآخر لا تقوم على الإقصاء، بل على الوعي المتبادل والإدراك العميق لكل طرف لخصوصيات الطرف الآخر. ومن هنا، فإن إدراك الآخر لا ينفصل عن إدراك الذات، بل يشكل جزءًا أساسيًا من عملية بناء الوعي الذاتي، إذ إن فهم الآخر كما هو في واقعه، لا كما تتصوره الذات، يعد شرطًا أساسيًا لتأسيس علاقة سليمة معه.[1]

وبناءً على ذلك، فإن العلاقة بين الأنا والآخر تقتضي تجاوز الأحكام المسبقة والانطباعات الجاهزة، نحو بناء تصور أكثر موضوعية يقوم على الفهم المتبادل، مما يسمح بتأسيس آليات صحيحة للتفاعل والتعامل بين الطرفين. فكلما ازداد وعي الأنا بذاتها، ازدادت قدرتها على فهم الآخر في اختلافه وتنوعه، والعكس صحيح أيضًا.

كما أن الدراسات الأدبية، خاصة في مجال السرد والشعر، قد اهتمت بتفكيك صورة الآخر في المخيال العربي، ولا سيما صورة الغرب، حيث تم رصد كيفية تشكل هذه الصورة بين الإعجاب والرفض، وبين الانبهار والصراع، وهو ما يعكس تعقيد العلاقة بين الطرفين وتعدد مستوياتها الرمزية والثقافية.[2]

[1]– صوافي بوعلام، المرجع السابق، ص 20.

[2]– إيهاب النجدي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2008، ص 10

خلاصة:

خلص هذا الفصل إلى أن مفهومي الأنا والآخر يشكلان ثنائية متلازمة لا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر، إذ تتحدد الأنا من خلال وعيها بذاتها وبما يحيط بها من عناصر مغايرة، في حين يكتسب الآخر معناه من موقعه المقابل أو المختلف عن الذات. وقد بينت الدراسة أن مفهوم الأنا لا يقتصر على دلالته اللغوية، بل يمتد ليشمل أبعاداً نفسية واجتماعية وثقافية تتجلى من خلال أنماط متعددة تعكس طبيعة حضور الذات وتمثلاتها. كما اتضح أن الآخر بدوره مفهوم متعدد الأبعاد، يتخذ صوراً وأنماطاً مختلفة تتحدد وفق طبيعة العلاقة التي تربطه بالأنا.

ومن خلال تناول صور التفاعل بين الأنا والآخر، تبين أن هذه العلاقة لا تقوم على التعارض المطلق أو الانسجام التام، بل تتأسس على جدلية معقدة تتداخل فيها مظاهر التقارب والتباعد، والقبول والرفض، والاختلاف والتكامل. لذلك تظل العلاقة بين الأنا والآخر من أبرز القضايا التي تكشف طبيعة الوعي بالذات وآليات تشكل الهوية داخل مختلف الخطابات الإنسانية والأدبية.

الفصل الثاني

تمثلات الانا والآخر في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"

المبحث الأول: تمثلات الأنا في الرواية

المبحث الثاني: تمثلات الآخر في الرواية

المبحث الثالث: آليات بناء الأنا والآخر سرديا في الرواية

تمهيد:

يُعالج هذا الفصل تمثلات الأنا والآخر في رواية *الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي* بوصفها إحدى القضايا المركزية التي يقوم عليها البناء الدلالي للنص، حيث لا تظهر الأنا كذات مستقرة أو مكتفية بذاتها، بل ككيان متحرك يعيش توتراً دائماً مع محيطه، سواء في صورته الروحية أو التاريخية أو الاجتماعية. وفي المقابل، لا يُقدَّم الآخر كطرف محايد، بل كقوة متعددة الأشكال تتجسد في العدو، وفي المؤسسة، وفي القراءة المختلفة للتاريخ، وفي الفضاء الخارجي الذي يهدد مركزية "المقام الزكي."

ويكشف هذا التفاعل بين الأنا والآخر عن طبيعة العلاقة الإشكالية بين الذات والعالم، إذ تتداخل حدود التمييز بينهما، فتتحول العلاقة من مجرد مواجهة خارجية إلى صراع داخلي يمسّ الهوية والمعنى والوجود. كما تُبرز الرواية أن الأنا تبني صورتها عبر نفي الآخر أو إعادة تشكيله، في حين يعمل الآخر على تفكيك هذه المركزية وإعادة مساءلتها.

وعليه، يسعى هذا الفصل إلى تحليل مختلف تمثلات الأنا والآخر من خلال آليات بنائهما في النص، ورصد أشكال الصراع بينهما، سواء في بعده الوجودي أو المعرفي أو الرمزي، بما يسمح بفهم أعمق لدينامية العلاقة التي تحكم عالم الرواية.

المبحث الأول: تمثلات الأنا في الرواية

تُعدّ الأنا من أبرز المرتكزات التي يقوم عليها البناء الروائي، إذ تتجلى من خلالها رؤية الشخصية لذاتها وللعالم المحيط بها. وفي رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي تتخذ الأنا أبعاداً متعددة تتجاوز حدود الذات الفردية لتلامس قضايا الهوية والوجود والذاكرة والخلاص الروحي. لذلك نسعى في هذا المبحث إلى رصد أهم تمثلات الأنا في الرواية، من خلال الكشف عن صور حضورها وتجلياتها المختلفة داخل المتن السردي.

أولا صورة الذات في الخطاب الروائي

نتناول في هذا المطلب صورة الذات كما تجلت في الخطاب الروائي، من خلال الكشف عن أبرز تمثلات الأنا وتجلياتها المختلفة، ورصد طبيعة علاقتها بذاتها وبالعالم المحيط بها.

1) الذات المأزومة وإشكالية الوجود.

تكشف هذه الصورة السردية عن ذات وجدت نفسها فجأة في فضاء غريب ومجهول، عاجزة عن فهم ما يجري حولها أو إدراك أسبابه الحقيقية. فالولي الطاهر لا يواجه اختلافاً بين طرفين متصارعين، بل يلاحظ أن المتقاتلين يتشابهون في المظهر والهيئة والرموز الدينية، إذ يصفهم السارد بأن لهم «نفس القلنسوات، ونفس اللحى ونفس الجلابيب والمعاطف، ولربما تفوح منهم نفس رائحة المسك»[1]. ويبرز هذا التشابه المفارق حالة العبث التي تواجهها الأنا، حيث يصبح الصراع فاقداً للمعنى الواضح، ويتحول العالم إلى فضاء تتداخل فيه الحدود بين الذات والآخر، وبين الصديق والعدو. كما أن عجز الشخصية عن فهم لغة القوم أو استيعاب دوافع القتال يعمق شعورها بالاغتراب والضياع، لتجد نفسها شاهدة على مشهد دموي يهيمن عليه العنف والفوضى. ومن ثم تعكس هذه الرؤية أزمة وجودية عميقة، إذ تبدو الذات في مواجهة عالم فقد منطقه الداخلي وأصبح محكوماً بالتناقضات

[1] – الطاهر وطار، *الأعمال الروائية، المجلد الثالث: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي*، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص24

والصراعات التي يصعب تفسيرها أو تبريرها، الأمر الذي يزيد من حدة القلق الوجودي الذي يطبع تجربة الولي الطاهر في الرواية.

هنا عودة الولي الطاهر إلى حالة من الارتباك الوجودي بعد تجربة مشوشة غير محددة المعالم، إذ يستيقظ دون أن يدرك ما الذي حدث له أو كيف وصل إلى هذا الموضع، فيجد نفسه في فضاء غامض لا يحمل علامات واضحة على الاتجاه أو الاستقرار. هذا الانقطاع في الوعي يعكس أزمة إدراكية تجعل الذات غير قادرة على ربط التجربة بما قبلها، فتبدو وكأنها تعيش بين حالتين من الانفصال والاتصال غير المكتمل بالواقع. ويزداد هذا الشعور بالقلق من خلال إحساسه بالغموض الداخلي، إذ يقرّ بأن هناك رغبة عميقة تسكنه لكنه لا يستطيع تحديدها بدقة، كما في قوله: «ولكن يحس بأنه مشوق، وأنه في حاجة ماسة إليه، ليتمم شيئاً ما فيه ينقصه»[1]، وهو ما يعكس فراغاً وجودياً يجعل الأنا في حالة بحث دائم عن اكتمال مفقود. كما أن الصورة التي يشبه فيها نفسه بالظمآن الذي ارتوى وما زال العطش يلازمه تؤكد أن الإشباع الظاهري لا ينهي القلق الداخلي، بل يعمقه، مما يجعل الذات أسيرة توتر مستمر بين الامتلاء والنقص. وهكذا تتجسد الأنا هنا كذات مأزومة، تعيش انفصالاً بين الفعل والمعنى، وبين الحركة والوجهة، في فضاء لا يتيح لها الاستقرار أو اليقين.

2) الذات الصوفية والبحث عن الخلاص الروحي.

تتجلى الذات في هذا المقطع بوصفها ذاتاً تسعى إلى بناء تصور خلاصي يتجاوز الواقع المأزوم نحو أفق روحي/وجودي يقوم على الطهارة الكلية وإعادة تأسيس الإنسان خارج منطق العنف والتاريخ الملوث بالصراع. فخطاب الولي الطاهر هنا لا يتحرك داخل مستوى اجتماعي أو سياسي فحسب، بل يرتقي إلى مستوى رؤيوي يتداخل فيه الديني بالتصوري الصوفي، حيث تصبح فكرة "النسل الجديد" تعبيراً عن رغبة في تطهير الوجود من آثار الفساد الأخلاقي والدموي، وإعادة تشكيل الإنسان وفق نموذج روحي مثالي.

[1] – الرواية: ص 73

ويبرز هذا التوجه في قوله: «نســـل كل الناس. الله يحل في خليفة الله. متطهراً من الأوبئة. يؤدي الأمانة، كما أُمر بتأديتها. يصلح في الأرض ولا يفسد»[1]، حيث تتحول الذات من التفكير في الواقع إلى بناء رؤية خلاصية تجعل من الإنسان مشروعاً روحياً يقوم على الطهارة والسمو والابتعاد عن الفساد. كما أن استحضار الآية «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» يعزز البعد الصـــوفي/الروحي في الخطاب، إذ يتم توظيف النص الديني لتأســـيس تصـور يقوم على إمكانية إعادة خلق العالم وفق مشيئة إلهية مطلقة، بما يعكس تعلق الأنا بالمطلق ورغبتها في تجاوز حدود الواقع الفاسد نحو عالم متخيل أكثر صفاءً.

وهكذا تتحول الذات في هذا المقطع إلى ذات حالمة بالخلاص الشـــامل، لا تكتفي بالنجاة الفردية، بل تســـعى إلى إنقاذ جماعي للإنســـانية عبر نموذج روحي يرفض العنف ويؤسس لوجود بديل قائم على الطهارة والسكينة.

يتجلى البعد الصـوفي في هذا المقطع من خلال حضـور الدعاء بوصـفه ملاذاً روحياً تتشبث به الذات في لحظة مواجهة بين الفعل المادي (الهدم/الاختراق) والحاجة إلى الحماية الروحية، حيث يتكرر النداء: «يا خافي الألطاف نجنا مما نخاف»[2]، وهو ما يعكس توجهاً داخلياً لدى الولي الطاهر نحو الاحتماء بالقوة الإلهية في ســـياق يختلط فيه الخوف بالفعل والتوتر باليقين. فالدعاء هنا لا يأتي كطقس عابر، بل كاسـتجابة وجدانية مباشـرة أمام حالة الغموض والتهديد التي تحيط بالمشهد، مما يرسخ البعد الروحي في تجربة الشخصية.

كما تتعمق هذه النزعة الروحية من خلال إحساس الذات بوجود عالم غير مرئي يتداخل مع الواقع المحسوس، حيث تتقاطع الإشارات الحسية (الأنين، الدم، الحجارة الطرية) مع حالة استحضار داخلي تجعل الشخصية أقرب إلى تجربة كشف أو انكشاف غير مكتمل، وهو ما يظهر في تردده بين الفعل المادي والتأويل الروحي لما يحدث حوله. وفي هذا السياق يصبح

[1] – الرواية: ص 95

[2] – نفسه، ص 96

فعل البحث عن المقام وتحريره مرتبطاً برؤية تتجاوز البعد المادي إلى تصـــور خلاصـــي، يجعل من الفعل نوعاً من التطهير وإعادة التأسيس، لا مجرد حركة في المكان.

كما يعزز هذا الطابع الروحي حضــور الخطاب الديني داخل اللحظة الســردية، حيث يتداخل الدعاء مع الحدث وكأنه جزء من نسيج التجربة، مما يعكس أن الذات لا تنفصل عن مرجعيتها الروحية حتى في أكثر لحظاتها توتراً وصراعاً.

3) الذات المغتربة بين الذاكرة والنسيان.

تتجلى حالة الاغتراب التي تعيشــها الأنا من خلال علاقتها المضــطربة بذاكرتها، إذ يعود الولي الطاهر إلى مقامه وهو يعاني انقطاعاً بين ماضـيه وحاضـره، الأمر الذي يجعله عاجزاً عن استعادة جزء من مخزونه المعرفي والروحي. ويبدو هذا الاضطراب واضحاً عندما يشـير السـارد إلى أن «وباءت محاولاته المتكررة، في تذكر سـور أخرى غير الفاتحة وسـورة الأعلى»[1]، حيث لا يمثل النســـيان هنا خللاً عارضـــاً، بل يعكس أزمة أعمق تمس هوية الشخصية ذاتها، لأن الذاكرة الدينية كانت إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها شخصيته. ومن ثم تتحول الأنا إلى ذات تبحث عن اســتعادة ذاتها المفقودة ومحاولة إعادة وصـــل ما انقطع بينها وبين ماضيها الروحي.

تتجلى صــورة الأنا في مقاطع أخرى من خلال حالة الاضــطراب التي أصــابت عالم المقام الزكي، حيث أصـبح النسـيان علامة على اختلال التوازن الروحي الذي كانت تسـتند إليه الجماعة. فالولي الطاهر يجد نفســه أمام ظاهرة غامضــة تهدد إحدى أهم ركائز وجوده، وهي الذاكرة الدينية التي تشكل أساس الهوية الروحية للمريدين. ويتضـح ذلك عندما يشـتكي القنـاديز من وجود تلك المرأة المجهولـة التي «تبلوهم بداء النســـيان فينمحى كتاب الله من صـــدورهم»[2]، وهو ما يجعل النســـيان يتجاوز معناه العادي ليصـــبح رمزاً لفقدان اليقين والانفصـال عن المرجعية الروحية التي تؤسس وجود الجماعة. وتزداد حدة هذا الاغتراب مع

[1] – الرواية: ص09.

[2] – الرواية: ص 19

عجز الذات عن تفسير ما يحدث أو السيطرة عليه، خصوصاً أن مصدر الاضطراب يبقى مجهولاً ومبهماً، الأمر الذي يدفع الأنا إلى مواجهة واقع تتداخل فيه الحقيقة بالوهم والذاكرة بالنسيان. وهكذا تتحول تجربة النسيان في الرواية إلى تعبير عن أزمة أعمق تمس الذات في علاقتها بهويتها ومرجعيتها الفكرية والروحية، لتغدو الأنا في حالة بحث دائم عن اســـتعادة التوازن المفقود وحماية ذاكرتها من عوامل التآكل والانمحاء.

4) الذات الفاعلة في مواجهة التحولات.

تتجلى صورة الأنا في هذا المقطع بوصفها ذاتاً انتقلت من حالة التلقي والمشاهدة إلى حالة الفعل المباشر داخل فضاء الصراع، حيث يجد الولي الطاهر نفسه منخرطاً في معركة حقيقية تتطلب منه اتخاذ موقف وممارسة العنف دفاعاً عن جهة معينة. ويكشف هذا التحول عن انزياح جذري في بنية الشـخصـية، إذ لم يعد الولي الطاهر مجرد ذات متأملة أو مراقبة للواقع، بل أصبح جزءاً فاعلاً في تشكيله. ويتضح هذا الانخراط من خلال وصف اندماجه في القتال وقدرته المفاجئة على التكيف مع العنف، بل وتجاوزه لغيره من العناصـــر: «وجد الولي الطاهر في نفسه قوة خارقة، فكان وحده يقوم مقام عشرة محاربين أشداء»[1]، وهو ما يعكس تحوّلاً نوعياً في وعي الذات، حيث تتحول من فرد محدود الإمكانات إلى ذات متضخمة القوة في لحظة اشتباك وجودي. كما يعبر التساؤل الداخلي «ما الداعي إلى نصرة هؤلاء وحدهم؟»[2] عن بقاء عنصر الشك داخل الأنا رغم انخراطها في الفعل، مما يدل على أن هذا التحول ليس اندماجاً كاملاً، بل هو انتقال قلق بين الوعي الأخلاقي والاندفاع الواقعي. وهكذا تظهر الذات في حالة توتر بين القناعة بالفعل ومســـاءلة جدواه، مما يعمق الطابع الإشكالي لتجربتها داخل النص.

تتجلى صورة الأنا في هذا المقطع بوصفها ذاتاً منخرطة بشكل مباشر في حدث صادم يفرض عليها الانتقال الفوري من حالة التأمل والطقوس الروحية إلى حالة الفعل والمواجهة.

---

[1] – الرواية: ص 25

[2] – الطاهر وطار، *الأعمال الروائية، المجلد الثالث: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي*، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص74

فبدل أن يؤدي الولي الطاهر شعائره المعتادة في لحظة الطمأنينة، يجد نفسه أمام أصوات الصراخ والانفجارات القادمة من داخل القصر، وهو ما يقطع عليه زمن السكون ويضعه أمام واقع مأساوي لا يحتمل التأجيل أو التأمل. ويكشف هذا التحول عن طبيعة الشخصية التي لا تظل محصورة في البعد الروحي، بل تنجرف إلى الفعل حين يتطلب الواقع ذلك، كما في قوله: « فكبَّر وشمر على ذراعيه، وارتمى يخوض أوار مجزرة، ملتهبة»[1]، حيث تتحول الأنا من ذات متأملة إلى ذات فاعلة منخرطة في العنف بشكل مباشر، في دلالة على انكسار الحدود بين المقدس واليومي، وبين الروحي والسياسي. كما أن توتر اللحظة وتتابع الانفعالات «أخذته رعشة، واعترته حمى، وداهمته غمى» يعكس شدة الضغط الوجداني الذي يسبق الفعل، مما يجعل هذا التحول غير هادئ بل مشحوناً بالاضطراب الداخلي، وهو ما يبرز الطابع المأزوم داخل فعل المواجهة ذاته. وهكذا تتشكل الأنا هنا كذات تتجاوز التأمل لتندمج في الصراع التاريخي والإنساني بكل تناقضاته.

ثانيا: الأنا الفردية والانا الجماعية في الرواية

نتناول في هذا المطلب تجليات الأنا الفردية والأنا الجماعية في الرواية، من خلال إبراز طبيعة العلاقة بين الذات الفردية والجماعة، والكشف عن مظاهر التفاعل والتوتر التي تحكم حضورهما داخل الخطاب الروائي.

1) الأنا الفردية بوصفها ذاتاً مغايرة ومتمردة

يتجلى في هذا المقطع بوضوح حضور الأنا الفردية باعتبارها ذاتاً واعية بذاتها، منفصلة عن الإيقاع الجماعي الذي يفرضه المحيط الاجتماعي والسياسي. فالشخصية هنا تتحرك داخل فضاء "احتفالي/جماهيري" قائم على التصفيق والإعجاب، إلا أنها لا تذوب فيه، بل تظل محتفظة بمسافة نقدية تجاهه، حيث يظهر إحساس بالاغتراب داخل لحظة يفترض أنها لحظة حضور واعتراف جماعي، كما في قوله: «يصفقون. يصفقون. القاعة

[1] – [1] – الطاهر وطار، *الأعمال الروائية، المجلد الثالث: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي*، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص 74

ملأى، والأكف تلتهب... وهو يحلق مغمض العينين»[1]، وهو ما يعكس مفارقة بين انخراط الجسد في الفعل الجماعي وبقاء الوعي في حالة انفصال داخلي.

وتتعمق ملامح الأنا الفردية من خلال طرح السؤال النقدي: «إلام سينتهي العرس الهجين في هذا المجتمع الهجين؟»[2]، وهو سؤال يعبر عن رؤية فردية ناقدة للواقع الجمعي، حيث يتم توصيف المجتمع بوصفه حالة "هجنة" مضطربة، ما يدل على أن الذات لا تتبنى الخطاب الجماعي بل تعيد مساءلته من الداخل.

كما يظهر البعد المميز للأنا الفردية في انتقالها نحو فضاء بديل هو فضاء الشعر، الذي يتم تقديمه باعتباره مجالاً أعلى من الحرب والحياة ذاتها: «لكن في الشعر، فضاءات أخرى، أروع من الحرب ومن السلم... تعيده إلى الملكوت»[3]، حيث تتحول الذات إلى ذات مبدعة تبحث عن الخلاص عبر الفن باعتباره مجالاً للسمو والارتقاء، لا عبر منطق الجماعة أو الصراع.

وفي النهاية، يتجلى استقلال القرار الفردي من خلال عزمه على مراسلة "كتاب شرفاء"، في إشارة إلى شبكة اختيار شخصية خارج الإكراه الجماعي، مما يعزز موقع الأنا الفردية بوصفها ذاتاً تفكر وتقرر خارج الإطار الجمعي.

يتجلى حضور الأنا الفردية في هذا المقطع من خلال تموضع الولي الطاهر بوصفه ذاتاً واعية ومتفحصة للواقع، تسعى إلى التمييز بين الحقيقة والوهم، بين ما هو أصيل وما هو متخيل أو مشكوك في مصدره. فالشخصية هنا لا تتعامل مع المشهد بوصفه معطىً نهائياً، بل تمارس فعلاً تأويلياً نقدياً، كما يظهر في رفضها الاعتباطي لما تراه من مشاهد، إذ يصرّ على عدم الاعتراف بكونها جزءاً من "المقام"، قائلاً في وعي ضمني بالشك: «رافضاً

---

[1] – الرواية: ص 108

[2] – الطاهر وطار، *الأعمال الروائية، المجلد الثالث: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي*، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص24

[3] – الطاهر وطار، *الأعمال الروائية، المجلد الثالث: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي*، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص27

.

استعمال نعت المقام لها، فمن أدراه بأمرها، وقد تكون من عمل الشيطان»[1]، وهو ما يعكس نزعة فردية تقوم على التمحيص وعدم التسليم بما يُعرض عليه.

كما تتجلى خصوصية الأنا الفردية في حالة الإدراك المتوتر للعالم المحيط، حيث يتحول الفضاء إلى بنية غير مستقرة تتعدد فيها الصور وتتشابه إلى حد الإرباك، كما في قوله: «كأنها صورة، الأبعاد فيها متوقفة، بعد أن حددتها الرؤية الأولى»[2]، وهو ما يعكس أن الذات لا تتلقى العالم بشكل بسيط، بل تعيد تشكيله وفق وعيها الفردي الذي يرفض الثبات ويعيد إنتاج المعنى باستمرار.

وتبرز فردانية الوعي أيضاً في الإحساس بالاختلاف بين ما هو ثابت وما هو متحول، إذ يظل الولي الطاهر في موقع المراقب الذي يحاول فهم منطق تضاعف القصور وتحوّل الفضاء إلى دائرة ضاغطة، مما يجعل الذات في حالة تفكير فردي مستقل عن أي تفسير جماعي جاهز. وهكذا تتشكل الأنا هنا كوعي فردي مشكك، يسعى إلى حماية مرجعيته الخاصة في فهم العالم، في مواجهة مشهد متحول وغير مستقر.

2) الأنا الجماعية بوصفها سلطة تنظيمية/إقصائية

يُظهر هذا المقطع تشكل الأنا الجماعية داخل فضاء المقام الزكي بوصفها جماعة منظمة تتداخل فيها الأصوات الفردية لتتحول إلى خطاب جمعي يصعب فيه تمييز الفاعل الفردي من الفاعل الجماعي. فالمشهد يبدأ بصوت نسوي جماعي داخل المصلّى يقدم خطاباً عاماً حول طبيعة "الشيطان" وقدرته على التلون والتجسد في أشكال متعددة، وهو خطاب يعكس اشتغال الوعي الجمعي على إنتاج تصورات تفسيرية مشتركة للظواهر، كما في قوله: «لا يمكن حصر جنس للشيطان، ولا صفة، ولا ذات... بل إنه يكون الواحد منا في يقظتنا وفي منامنا»[3]، حيث يتم تعميم الفكرة وتحويلها إلى تصور جماعي لا يرتبط بفرد بعينه.

---

[1] – الرواية: ص 116

[2] – الطاهر وطار، *الأعمال الروائية، المجلد الثالث: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي*، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص97-98-121

[3] – نفسه: ص 27

وتتجلى الأنا الجماعية بشـــكل أوضـــح من خلال ظاهرة "العرائض"، حيث يظهر الاضـطراب الجمعي في شـكل رسـائل متعددة مجهولة المصـدر، تحمل مضـموناً واحداً، ما يعكس تشـــكل حالة وجدانية جماعية غير محددة الفردية: «تتضـــمن العرائض كلها، جملة واحدة: إنني أُوتى كل ليلة، فأدركني أيها الولي الطاهر»[1]. هذا التكرار يكشـــف عن ذوبان الفروقات الفردية داخل خطاب موحد، يجعل الجماعة تتصـــرف ككيان واحد يعبر عن قلق مشترك وحاجة جماعية للنجدة والتوجيه.

كما تعمق الأنا الجماعية حضـورها من خلال مشـهد الاجتماع في المصـلّى، حيث يتم حصر العدد وتوجيه الخطاب نحو "الولي الطاهر" بوصفه مرجعاً جماعياً للنجاة والحل، غير أن هذا المرجع ذاته يصـــبح جزءاً من آلية التنظيم داخل الجماعة، مما يجعل العلاقة بين الفرد والجماعة علاقة تداخل لا انفصـــال. ويظهر هذا التنظيم المكاني (الطوابق، المريدون، الطالبات، الطلبة) بوصـــفه بنية اجتماعية هرمية تعكس كيفية توزيع الأفراد داخل منظومة جماعية منضـبطة، كما في وصـف: «الطابق الذي فوقه، مرقد للطلبة والمريدين... والطابق السابع»[2].

وهكذا يكشـــف المقطع عن الأنا الجماعية باعتبارها بنية خطابية وتنظيمية تقوم على التكرار، والتوحيد، وإنتاج معنى مشترك، في مقابل ذوبان الفوارق الفردية داخل فضاء المقام.

يتأسس هذا المقطع على لحظة رمزية تتداخل فيها الدلالة الدينية بالاضـطراب الكوني، حيث تظهر الذات في وضعية مواجهة لحالة "كسوف" غير مألوفة، ما يدفعها إلى استحضار فعل تعبدي جماعي الأصل يتمثل في صـلاة الكسوف، مما يعكس ارتباط الأنا هنا بمنظومة دينية جماعية تؤطر الفعل وتوجهه. فاختيار الولي الطاهر للصـــلاة في هذا السـياق لا يعبر فقط عن ممارســـة فردية، بل عن اســـتدعاء لطقس جماعي له قواعده المعروفة في الوعي الديني، ما يجعل الفعل الفردي امتداداً لبنية جماعية مؤطرة.

[1] – الرواية: ص 27

[2] – نفسه، الصفحة نفسها

ويبرز هذا البعد من خلال محدودية الذاكرة الدينية للشخصية، حيث لا يستحضر سوى الفاتحة وسورة الأعلى، وهو ما يوضح أن المرجعية الروحية هنا ليست منتجة ذاتياً بشكل حر، بل محكومة بحدود معرفة جماعية مكتسبة: «فلم يجد في ذاكرته سوى الفاتحة وسورة الأعلى»[1]. كما أن تكرار الآيات نفسها داخل الصلاة يعكس نوعاً من الانحصار داخل خطاب ديني جاهز، يحد من حرية التعدد الفردي في التعبير الروحي، ويعيد إنتاج نفس البنية الرمزية للجماعة الدينية.

ومن جهة أخرى، فإن إدراج النص القرآني داخل اللحظة السردية يعزز حضور السلطة الرمزية الجماعية للنص المقدس، الذي يتجاوز الفرد ليشكل مرجعية كلية مشتركة، توجه الفعل وتؤطر المعنى. وهكذا تتجلى الأنا في هذا المقطع بوصفها ذاتاً مندمجة داخل نظام تعبدي جماعي، تتحرك داخله وفق ضوابطه الرمزية والمعرفية، حتى وهي تمارس فعلها بشكل فردي.

3) جدلية الصراع بين الفرد والجماعة

يتأسس هذا المقطع على مشهد صراع معقّد تتداخل فيه الأبعاد الفردية مع منطق الجماعة، حيث لا يظهر الولي الطاهر بوصفه ذاتاً منعزلة فقط، بل كطرف داخل منظومة صراع كونية تُدار عبر خطاب جمعي وتقني في آن واحد. فالحوار القائم عبر الهاتف لا يعكس تواصلاً فردياً عادياً، بل يمثل خطاباً جماعياً موجهاً باسم "الأصدقاء" و"الجيش"، وهو ما يحوّل الكلام إلى صوت مؤسسة وليس صوت فرد، كما في قوله: «إنهم مثلنا يبغضون الحرب... نحن أيضاً»[2]، حيث يتم إخفاء الفاعل الفردي خلف ضمير جماعي يذيب المسؤولية داخل خطاب موحد.

مما يجعلها قوة تنظيمية تتجاوز الأفراد، لكنها في الوقت نفسه تنتج عنفاً شاملاً يدمر المكان والإنسان. غير أن هذا التنظيم الجماعي لا يلغي التوتر، بل يكشف عن هشاشة

[1] – الرواية: ص 121

[2] – الرواية: ص 97.

داخله، إذ ينتهي المشـــهد بانكشـــاف الخدعة وانهيار البنية المكانية بالكامل: **«هوت البناية، بكل من فيها، وارتفع الدخان مع الغبار»**.[1]

أما الأنا الفردية فتظهر لاحقاً في لحظة انفصـــــال عن هذا النظام العنيف، من خلال فعل الصـــــلاة والدفن، حيث يســـــتعيد الولي الطاهر بعد لحظة الانفجار فعلاً روحياً فردياً مستقلاً: «راح يكبر، ويتلو الفاتحة وسورة الأعلى»[2]، وهو ما يعيد تشكيل الذات خارج منطق الجماعة العســكرية، نحو منطق شــخصــي تأملي يقوم على معنى الموت والدفن والموقف الأخلاقي الفردي.

وهكذا يكشـــف المقطع عن جدلية واضـــحة بين فرد يتحرك وفق وعي داخلي أخلاقي وروحي، وجماعة تتحرك بمنطق القوة والتنظيم والتقنية، دون أن يكون هناك فصـــل نهائي بينهما، بل تداخل وصراع مستمر.

[1] - الرواية : ص 98.

[2] – الرواية: الصفحة نفسها

المبحث الثاني: تمثلات الآخر في الرواية

يحظى الآخر بمكانة بارزة داخل الخطاب الروائي، باعتباره عنصراً أساسياً في بناء الأحداث وتشكيل العلاقات السردية. ولا يظهر الآخر في الرواية بصورة واحدة، بل يتجسد في صور وأنماط متعددة تتباين تبعاً لطبيعة العلاقة التي تربطه بالأنا. لذلك نتناول في هذا المبحث تمثلات الآخر في الرواية، من خلال الكشف عن صوره المختلفة ودوره في بناء المعنى وإبراز طبيعة التفاعل القائم بينه وبين الأنا.

أولاً: صورة الآخر في الرواية

يتجلى الآخر في هذا المقطع في صورة قوة عسكرية صدامية تقوم على المواجهة المباشرة والعنف المنظم، حيث لا يظهر كذات فردية بل كجماعة اقتحامية تتحرك وفق منطق الحرب والإبادة. ويبرز ذلك من خلال مشهد الاقتحام الذي يتقدم فيه الطرف الآخر بشكل جماعي ومنظم، إذ «غير أن الأعداء صاحوا صيحة واحدة "الله أكبر" وكروا كالموج من كل جانب، تعززهم المدفعية الثقيلة والطائرات»[1]، وهو ما يعكس طبيعة الآخر بوصفه قوة هجومية مسلحة لا تتعامل مع الصراع بمنطق الحوار بل بمنطق الحسم العسكري.

كما يتعمق هذا التصور من خلال نتائج المواجهة التي تعكس حجم التدمير والانهيار، حيث «امتلأ النهر بالجثث حية وميتة، ودكن لون الماء، واسودت السماء»[2]وهو ما يدل على أن الآخر في هذا السياق ليس مجرد خصم، بل قوة تؤدي إلى محو الحدود بين الحياة والموت داخل فضاء الصراع.

وبذلك تتشكل صورة الآخر بوصفها صورة عدوانية صرفة، تقوم على الإلغاء المادي للطرف المقابل، مما يجعل العلاقة بين الأنا والآخر علاقة صدام وجودي مفتوح على العنف الشامل.

[1] – الرواية: ص 24

[2] – الرواية: ص 25

يتجلى الآخر في هذا المقطع في صـــورة مركبـة تجمع بين البعد التـاريخي والبعد الإيديولوجي، حيث لا يُقدَّم بوصـفه خصـماً مباشـراً فقط، بل كمنظومة فكرية تُعاد صـياغتها داخل خطاب يميل إلى التوسع والهيمنة وإعادة إنتاج الفعل التاريخي بصيغة دينية–سياسية. ويظهر ذلك من خلال استحضـار مشروع "الفتوحات" بوصـفه تصـوراً لإعادة تشكيل العالم، حيث «نعيد الجهاد في ســـبيل الله، إلى ما كان عليه، ونســـتأنف الفتوحات. نســـتعيد القسطنطينية، والمغرب والأندلس... ونصل هذه المرة موسكو وباريس وكوبنهاغن»[1]، وهو ما يعكس تصوراً للآخر باعتباره فضاءً قابلاً للفتح والسيطرة وليس كياناً مستقلاً.

كما يتعمق هذا التصور من خلال إعادة بناء خريطة العالم وفق منطق توسعي شامل، حيث تتحول الجغرافيا إلى مجال صـــراع ممتد يشـــمل "كل بلاد العرب والإســـلام"، وهو ما يكشـــف أن الآخر هنا ليس فرداً أو جماعة محددة، بل هو العالم الخارجي بكل امتداداته، يُعاد تشكيله داخل خطاب يربط بين الدين والسياسة والتاريخ.

وفي المقابل، يظهر بعد آخر للآخر يتمثل في الفضـــاءات الغامضـــة داخل الرواية نفسـها، حيث تُطرح أسـئلة حول القصـور واختفائها: «ما الذي أتى بها إلى هنا؟ ثم ما الذي جعل صـــوامعها تختفي دون أن تخلف أثراً؟»[2]، وهو ما يعكس أن الآخر ليس خارجياً فقط، بل يمتد إلى داخل البنية السردية بوصفه غياباً وتشظياً في المعنى والمكان.

وبذلك تتشكل صـورة الآخر في هذا المقطع بوصـفها صـورة ممتدة بين التاريخ والخيال والإيديولوجيا، حيث يتحول من كيان خارجي إلى فضاء شامل للفتح وإعادة التشكيل.

ثانياً: أنماط الآخر في الرواية

يتجلى الآخر في هذا المقطع في صـورة مختلفة عن الآخر الصـدامي، إذ يتحول إلى موضـوع للبحث التاريخي والمعرفي داخل فضـاء المقام الزكي، حيث يندفع الطلبة والطالبات إلى إعادة قراءة الشخصيات التاريخية وإعادة مساءلة صورتها. ويتضح هذا التوجه من خلال

[1] – الرواية: ص 51

[2] – الرواية: ص ص 51–52

الإقبال المكثف على مصـــادر التاريخ المختلفة، حيث «يتعاقبوا الواحد تلو الآخر على دار الكتب، يطلبون كتب التاريخ. الطبري واليعقوبي، البلاذري، بن بسام، الكلاعي البلنسي حتى كتاب الأغاني يا مولانا»[1]، وهو ما يعكس تشـــكل وعي جديد يعتبر الآخر التاريخي مادة للبحث وإعادة التفسير وليس مجرد رواية ثابتة.

كما يتعمق هذا التمثّل من خلال النقاشـات التي تدور حول شـخصـيات تاريخية مثل مـالك بن نويرة وزوجتـه، حيث تتعدد القراءات وتختلف الرؤى بين الذكور والإنـاث، فبينمـا «اتفق الذكور بعد بحث وتنقيب، على أن مالكاً بن نويرة الجفول، كان شـاعراً شـريفاً وفارسـاً بارزاً ممتعاً بالجمال»، ترى الطالبات أن «أم مُتمم بالإضـــافة إلى جمالها الفتان... هي صـاحبة شـخصـية قوية»[2]، وهو ما يكشـف أن الآخر هنا لا يُقدَّم بوصـفه حقيقة واحدة، بل بوصفه مجالاً للتأويل وتعدد الرؤى داخل الجماعة نفسها.

وبذلك يتحول الآخر من كونه شـخصـية تاريخية ثابتة إلى بناء معرفي متحول يعكس اختلاف زوايا النظر داخل الوعي الجماعي، مما يجعل الاشتغال عليه وسيلة لإعادة تشكيل الفهم التاريخي والهوية الثقافية في الرواية.

يتبدى الآخر في هذا المقطع بوصـفه موضـوعاً تاريخياً يُعاد اسـتحضـاره داخل فضـاء المقام الزكي، حيث يتحول الماضـــي الإســـلامي إلى مادة نقاش حي داخل حلقات الطلبة والطالبات، مما يجعل الآخر التاريخي جزءاً من بناء الوعي المعرفي الجماعي وليس مجرد حدث منقضٍ. ويتضـــح ذلك من خلال الاهتمام المكثف بشـــخصـــية مالك بن نويرة، حيث «تعـاقبوا الواحـد تلو الآخر على دار الكتـب، يطلبون كتـب التـاريخ. الطبري واليعقوبي، البلاذري، بن بســـام... حتى كتاب الأغاني يا مولانا»[3]وهو ما يدل على أن الآخر التاريخي أصبح مجالاً لإعادة القراءة والتأويل داخل الجماعة.

[1] – الرواية: ص 36

[2] – الرواية: ص 36

[3] – الرواية: ص 42

كما يتخذ هذا الآخر بعداً داخلياً داخل البنية الاجتماعية نفسها، حيث ينقسم التلقي بين الذكور والإناث في قراءة الشـــخصـــيات التاريخية، مما يكشـــف تعدد أنماط الوعي داخل الجماعة الواحدة، إذ «اتفق الذكور بعد بحث وتنقيب، على أن مالكاً بن نويرة... كان شـاعراً شـريفاً وفارسـاً بارزاً»، بينما «اتفقت الطالبات، على أن أم مُتمم... هي صـاحبة شـخصـية قوية»[1]، وهو ما يعكس أن الآخر لا يُبنى بوصـفه صـورة واحدة ثابتة، بل يُعاد تشـكيله وفق زوايا نظر متعددة.

وبذلك يصـبح الآخر في هذا المقطع بناءً معرفياً متحولاً داخل الجماعة، يُسـتدعى من التاريخ ليُعاد إنتاجه وتأويله، مما يحول العلاقة معه من مجرد استرجاع للماضـي إلى عملية فكرية تعكس تنوع الرؤى داخل الحاضر.

ثالثا: صراع الأنا والآخر

لا يعد الصـراع في هذه الرواية مجرد مواجهة مادية بين طرفين، بل هو صـراع وجودي ومعرفي يتمحور حول احتكار الحقيقة وتحديد معنى الخلاص، حيث تتقابل الأنا والآخر داخل مستويات متعددة تتداخل فيها الهوية بالمعرفة والمكان.

1. الصراع الوجودي

تمثل الأنا في الرواية نزعة الثبات والعودة إلى الأصـــل، من خلال اســـتعادة نموذج "المقام الزكي" بوصـفه مركزاً للهوية واليقين، في حين يمثل الآخر حركة التحول والتعدد التي تهدد هذا الاستقرار وتربك يقين الذات.

يتجلى هذا الصـــراع في شـــعور الولي الطاهر بأن هناك من يهدد مشـــروعه الوجودي ويســـتبقه، حيث يقول: «لعلهم اطلعوا على مشـروعنا فجاءوا يسـتبقوننا»[2]، وهو ما يكشـف تحول الآخر إلى قوة تنافسية تسعى إلى زحزحة مركز الأنا وإعادة تشكيله.

[1] – الرواية: ص 42

[2] – الرواية: الصفحة نفسها

2. الصراع المعرفي

يتمحور الصراع هنا حول "امتلاك المعنى" و"قراءة التاريخ"، إذ تعتمد الأنا على تأصيل معرفي صارم يستند إلى مرجعيات دينية وتاريخية تقليدية، بينما يمارس الآخر فعل التأويل وإعادة القراءة بما يهدد النسق المعرفي القائم.

يتجلى هذا التوتر في اهتمام الطلبة بقراءة كتب التاريخ وإعادة تفسير الشخصيات، حيث «تعاقبوا الواحد تلو الآخر على دار الكتب، يطلبون كتب التاريخ...»[1] ، مما يثير قلق المؤسسة الرمزية التي ترى في هذا الفعل "انحرافاً معرفياً" يهدد استقرار المعنى.

كما يتضح هذا الصراع في محاولة الأنا ضبط القراءة عبر التوجيه والإقصاء، باعتبار أن أي تأويل خارج النسق التقليدي يمثل تهديداً مباشراً للهوية الفكرية.

3. الصراع المكاني

يتخذ الصراع بعداً جغرافياً رمزياً، حيث يمثل "المقام الزكي" مركز الأنا ومجالها المقدس، في مقابل عالم خارجي واسع ومتشظٍ يمثل الآخر وامتداداته.

يتحول هذا الصراع إلى مشروع توسعي يهدف إلى إعادة تشكيل العالم وفق رؤية الأنا، كما يظهر في خطاب التوسع: «نعيد الجهاد في سبيل الله... نستعيد القسطنطينية والمغرب والأندلس... ونصل هذه المرة موسكو وباريس وكوبنهاغن»[2]، وهو ما يعكس رغبة في تحويل المركز إلى منظومة شاملة تُخضع العالم كله لمنطقها.

4. الصراع بين المادي والروحاني

يظهر هذا الصراع في التوتر بين عالم الأنا الروحي المتعالي وعالم الآخر المادي المحسوس، حيث تُبنى هوية الآخر على أدوات القوة والتقنية، مقابل نزعة الأنا نحو التقديس والرمزية.

---

[1] – الرواية: ص 36

[2] – الرواية: ص 51–52

يتجسد هذا في مشهد الحرب حيث «حمى الوطيس واشتد... والدخان يصبغ لون السماء الأزرق والدماء تصبغ التراب والماء معاً»[1]، مما يوضح هيمنة المادة والعنف في مقابل انهيار النظام الرمزي.

كما يظهر الآخر في صورته المادية عبر أدواته القتالية وتنظيمه العسكري، بينما تسعى الأنا إلى تحويل الصراع إلى بعد ميتافيزيقي قائم على الخلاص والتطهير.

إن صراع الأنا والآخر في الرواية هو صراع على المركزية والهيمنة الرمزية، حيث تحاول الأنا تثبيت ذاتها كمركز للحقيقة والهوية، في حين يعمل الآخر على زحزحة هذا المركز عبر التأويل والتعدد والتوسع. وبهذا يتحول الصراع من مواجهة مادية إلى صراع على المعنى والوجود، مما يجعل "التطهير" و"إعادة التأسيس" آلية لإلغاء الآخر أو إعادة تشكيله وفق منطق الأنا.

[1] – الرواية: ص 24

المبحث الثالث: آليات بناء الأنا والآخر سرديا في الرواية

تتضافر الآليات السردية في الرواية لتجسيد الصراع بين الأنا والآخر، حيث لا تكتفي هذه الآليات بتقديم الشخصيات، بل تسهم في إنتاج الدلالة العميقة لهذا التوتر القائم بين الذات ومحيطها.

أولاً: التمثيل اللغوي

تشتغل اللغة في الرواية كأداة لتمييز حدود الأنا والآخر، إذ تكشف طبيعة كل طرف من خلال بنيته التعبيرية. فخطاب الأنا يتأسس على التضرع والدعاء والتكرار، بما يعكس توتراً وجودياً ورغبة في الحماية الروحية، كما في قول الولي الطاهر: «يا خافي الألطاف نجنا مما نخاف»[1]، وهو خطاب يعكس ذاتاً قلقة تسعى إلى الاتكاء على الغيب لمواجهة الخطر.

في المقابل، يتجسد خطاب الآخر في اللغة العسكرية الحادة والمباشرة، القائمة على الأوامر والاختزال، كما في قوله: «أطلقوا. حالا حالا. واحد من الأمام وآخر من الخلف»[2]، وهي جمل قصيرة تعكس عقلية تقنية قتالية خالية من البعد الروحي، مما يرسخ ثنائية العنف مقابل التضرع.

ومن أبرز التحولات اللغوية أيضاً، خطاب الحرب الذي يكشف منطق الإبادة، حيث تُختزل العلاقة إلى معادلة سيطرة: «نار. نار. أدرك الخدعة، قذف بالهاتف بعيدا...»[3] ، وهو خطاب يفقد فيه الإنسان قدرته على التواصل ويصبح محكوماً بالفعل العسكري فقط.

ثانياً: التمثيل الوصفي

يؤكد الدكتور محمد العيد تاورته أن السرد الروائي يقوم على تداخل عناصره المختلفة، مثل السرد والوصف والحوار، إلى درجة يصعب معها فصل أحدها عن الآخر، لأنها جميعًا

---

[1] – الرواية: ص 13

[2] – الرواية: ص 97

[3] – الرواية: ص ص 97–98

تسـهم في تحقيق البنية الفنية للنص وإيصـال معناه إلى المتلقي بشـكل متكامل، إذ يقول: « الواقع أنه من الصعب عزل عناصر التعبير في الرواية من سرد ووصف وحوار عن بعضها، لأنها تتداخل جدًا في أدائها لوظيفة إيصـــال النص متكاملا وفنيا إلى المتلقي، إلا أن أي حديث عن واحد من هذه العناصر الأخرى المتداخلة أو الممتزجة معه في بناء النص الروائي إن النظر الروائي في جملته ينقسم إلى مقاطع وصفية ومقاطع سردية وأيضا إلى حوار، إنما الثنائية الأساسية هي بين السرد والوصف وتتناول المقاطع السردية الأحداث وسريان الزمن أما الوصفية فتتناول تمثيل الأشياء الساكنة».[1]

يُستخدم الوصف في الرواية كوسيلة لإنتاج الهوية وتمييز المجالين: مجال الأنا ومجال الآخر. فالأنا تُحاط بوصف صوفي/مقدس، بينما يُقدَّم الآخر عبر صور التهديد والاقتحام.

يتجلى هذا بوضوح في وصف ساحة القتال: «حمى الوطيس واشتد... والدخان يصبغ لون السـماء الأزرق، والدماء تصـبغ التراب والماء معاً»[2]، حيث يتحول الوصـف إلى لوحة كارثية تعكس هيمنة العنف.

كما يُقدَّم جسـد الآخر عبر تفاصـيل تبرز التشـابه والالتباس بين الأطراف، مما يخلق حالة من "تشـظي الهوية": «لهم نفس القلنسـوات، ونفس اللحى ونفس الجلابيب...»[3] ، وهو وصف يُضعف إمكانية التمييز ويجعل الآخر امتداداً مشوشاً للذات.

وفي المقابل، يظهر فضاء الأنا في شكل رمزي متدرج داخل المقام الزكي، حيث تتوزع الطوابق بين الذاكرة والمعرفة والروح، مما يجعل المكان بنية دلالية للذات أكثر منه فضـــاء مادياً.[4]

[1] – محمد العيد تاوريت، "تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد 21، جوان 2004، ص 55.

[2] – الرواية: ص 24

[3] – الرواية، الصفحة نفسها

[4] – الرواية: ص 12–16

ثالثاً: التمثيل الحواري

يُعدّ الحوار عنصرًا أساسيًا في السرد الروائي، إذ لا يقتصر على تبادل الكلام بين الشخصيات، بل يؤدي وظيفة تعبيرية تكشف مواقفها وأفكارها ومشاعرها، وتُعمّق فهم القارئ للعالم الروائي. وقد أسهم بول غرايس في تطوير التصور التداولي للحوار من خلال مبدأ التعاون الذي يقوم على تفاعل المرسل والمتلقي في إطار سياقي يضمن الفهم والتأويل. وبذلك يصبح الحوار مكوّنًا بنيويًا لا غنى عنه في بناء السرد، سواء في الرواية أو غيرها من الأجناس الأدبية[1].

تأخذ الحوارية في الرواية شكل صدام غير متكافئ بين خطابين: خطاب داخلي تأملي، وخطاب خارجي صدامي. فالأنا تتحدث مع ذاتها في شكل مونولوجات تعكس القلق والتساؤل، كما في قول الولي الطاهر: «لعلهم اطلعوا على مشروعنا فجاءوا يستبقوننا»[2]، وهو خطاب شكّي يعكس توجس الذات من الآخر.

وفي المقابل، يظهر الحوار الخارجي في شكل تقارير وأوامر، كما في خطاب "المقدم" الذي يرفع تقارير حول "الوباء" وانتشاره بين الطلبة: «قبل أن أبتّ في المسألة، رفع إليَّ المقدم تقريراً مطولاً...»[3] ، وهو خطاب إداري/رقابي يعكس محاولة ضبط الآخر ومنعه من التمدد داخل المجال الرمزي.

كما تتجلى الحوارية في شكل صدام مباشر تقني/حربي، حيث يتحول التواصل إلى خداع وتحديد إحداثيات: «خط العرض شين زائد ياء... خط الطول شين زائد ألف ونون»[4]، مما يفرغ الحوار من طبيعته الإنسانية ويحوّله إلى أداة قتل.

---

[1] – ملاك أشرف، "التفاعل الحواري في رواية 'مملكة الغرباء': مقاربة تداولية في بناء المعنى الضمني"، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 13، العدد 2، 2025، ص 11.

[2] – الرواية: ص 42

[3] – الرواية: ص 36

[4] – الرواية: ص 96–98

رابعاً: الآلية الرمزية

إذا كان الرمز في مفهومه الاصطلاحي الحديث يقوم على الإيحاء، فإنه يُعد وسيلة للتعبير غير المباشر عن الجوانب النفسية العميقة والمستترة، التي تعجز اللغة عن الإفصاح عنها بشكل صريح ومباشر. لقد وُجد الرمز في أشعار القدماء في كثير من الأحيان بشكل تلقائي وغير مقصود، إذ كان يظهر بوصفه تدفقًا طبيعيًا للفكرة أو إحساسًا عابرًا يفرضه السياق، مما جعل النص الأدبي يحتفظ بعفويته وطاقته الجمالية دون تكلف أو افتعال. أما عند الشعراء المحدثين فقد أصبح الرمز خيارًا فنيًا مقصودًا ومتعمدًا، حيث توسعوا في توظيفه إلى درجة لم يعد يقتصر فيها على مستوى الأسلوب، بل امتد ليشمل بنية النص ككل، فأضحى العمل الأدبي في بعض الحالات مشبعًا بالبعد الرمزي في مجمله.

وعليه فإن الرمز في معناه الأسلوبي العام هو استعمال لفظ يحمل دلالة ظاهرة وأخرى خفية، بما يفتح المجال لتداخل المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ويجعل الخطاب يتأرجح بين المباشرة والإيحاء. وبهذا يصبح النص الأدبي فضاءً متعدد الدلالات، لا يقوم على التفسير المباشر فقط، بل على الإيحاء والتأويل أيضًا، حيث لا يقابل الرمز جزءًا محددًا بجزء آخر مطابق، بل يكشف عن حقيقة أعمق تتجاوز الظاهر وتشير إلى معانٍ كامنة في البنية الدلالية للنص.[1]

تشتغل الرمزية في الرواية على تحويل العناصر المادية إلى دلالات فكرية/وجودية. فالـ"وباء" ليس مرضاً بيولوجياً بل رمز لاختراق الوعي وانتشار الفوضى داخل البنية القيمية، كما في تقارير المقدم حول "الأعراض" التي تهدد المجتمع[2].

كما يمثل "الفأس" رمزاً لفعل الاختراق وإعادة التأسيس، إذ يقول الولي الطاهر: «هوى الولي الطاهر بالفأس يضرب الجدار... أفتح ثغرة ألج منها»[3]، وهو فعل رمزي يرغب في إعادة تشكيل الواقع وكسر الحواجز بين الداخل والخارج.

---

[1] – ينظر: لوناس تركية وبلخير مسعودة، الرمزية والسرد الزماني في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني، مذكرة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2019–2020، ص 03.

[2] – الرواية: ص 36

[3] – الرواية: ص 96

أما "تعدد القصور" فهو رمز لانقسام الحقيقة وتشظيها، حيث يصف الراوي: «تتضايق زاحفة نحوه... كأنها صـورة الأبعاد فيها متوقفة»[1]، مما يعكس أزمة الإدراك وتداخل الحقيقي بالمتخيل.

[1] – الرواية: ص 116

خلاصة:

يتضـــح من خلال دراســـة تمثلات الأنا والآخر في الرواية أن العلاقة بينهما تقوم على التوتر والصـــــراع أكثر مما تقوم على التعايش أو التكامل، حيث تســـــعى الأنا إلى تثبيت مركزيتها باعتبارها حاملة للحقيقة واليقين، بينما يعمل الآخر على زحزحة هذه المركزية عبر الاختلاف والتأويل والمواجهة.

وقد بين التحليل أن الأنا في الرواية تتخذ أبعاداً متعددة: فهي ذات مأزومة تبحث عن الخلاص، وذات صوفية تميل إلى التقديس والبحث عن المطلق، وذات فاعلة حين تدخل في مواجهة مباشـــرة مع التهديدات، لكنها في كل الأحوال تظل مرتبطة بهاجس الحماية وإعادة إنتاج الذات. في المقابل، يتجلى الآخر كقوة متحولة تتخذ أشـكالاً مختلفة: العدو العسـكري، والمؤسسة الاجتماعية، والقراءة التاريخية البديلة، والفضاء الخارجي الواسع.

وبذلك، فإن الرواية تقدم تصـــوراً مركباً للعلاقة بين الأنا والآخر، يجعل من الصـــراع بينهما المحرك الأساسي للأحداث، ومن التوتر القائم بينهما أساساً لبناء الدلالة، حيث تتحول الهوية إلى مجال دائم لإعادة التشكل، لا إلى حقيقة ثابتة ونهائية.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد سعت هذه الدراسة إلى استجلاء تمثلات الأنا والآخر في رواية "**الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي**" للطاهر وطار، من خلال الجمع بين الجانب النظري الذي تناول المفاهيم المرتبطة بالأنا والآخر، والجانب التطبيقي الذي ركز على تجليات هذه الثنائية داخل البنية الروائية. وقد أبانت الدراسة أن الرواية تتجاوز حدود السرد الحكائي لتشكل فضاءً فكريًا ورمزيًا تتداخل فيه قضـــايا الهوية والذاكرة والســـلطة والاختلاف، مما جعل من ثنائية الأنا والآخر مرتكزًا أساسيًا في تشكيل المعنى وبناء الرؤية الروائية.

وقد بيّن الجانب النظري أن العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية تقوم على التفاعل والتأثير المتبادل، إذ لا تتحدد هوية الأنا إلا من خلال حضور الآخر، كما لا يقتصر مفهوم الآخر على البعد الفردي، بل يمتد ليشمل الأبعاد الثقافية والاجتماعية والفكرية والحضارية. وتتراوح طبيعة هذه العلاقة بين الانسـجام والتكامل من جهة، والصـراع والإقصـاء من جهة أخرى، تبعًا للسياقات التي تتشكل فيها.

أما في الجانب التطبيقي، فقد كشفت الدراسة أن شخصية الولي الطاهر تمثل مركز تجليات الأنا في الرواية، حيث ظهرت بوصـــفها ذاتًا قلقة تســـعى إلى البحث عن الحقيقة واستعادة اليقين، كما تجلت في بعدها الصوفي من خلال تطلعها إلى الخلاص الروحي، وفي بعدها الإنســاني عبر معاناتها من الاغتراب بين الماضـــي والحاضـــر. وقد عكســـت هذه الشخصية حالة من المواجهة المستمرة مع التحولات الاجتماعية والفكرية التي يشهدها الواقع، فضلاً عن تمردها على الأنماط السائدة التي تفرضها الجماعة ومؤسسات السلطة.

وفي المقابل، برز الآخر في الرواية بأشكال متعددة ومتداخلة، فلم يقتصر حضوره على الشخصيات المقابلة للأنا، بل تجسد في أنماط ثقافية وفكرية وتاريخية وسياسية مختلفة. ومن ثمّ اتسمت العلاقة بين الأنا والآخر بطابع جدلي قائم على التوتر والمواجهة، سواء من خلال الصـراع بين الثبات والتغيير، أو من خلال الاختلاف في الرؤى والتصـورات المتعلقة

بالحقيقة والتاريخ والواقع. كما تجلى هذا الصـراع في التقابل الرمزي بين العالم الروحي الذي تنتمي إليه الأنا والعالم المادي الذي يمثل أحد أبرز تجليات الآخر.

كما أظهرت الدراسـة أن الطاهر وطار اعتمد مجموعة من التقنيات السـردية والفنية لإبراز هذه الثنائية، من أبرزها اللغة ذات الحمولة الصوفية والإيحائية، والوصف الذي أسهم في رسم ملامح الشخصيات والفضاءات، والحوار الذي كشف عن طبيعة العلاقات القائمة بين مختلف الأطراف، إضـــافة إلى التوظيف المكثف للرمز الذي منح النص أبعادًا فكرية ودلالية عميقة.

نتائج الدراسة

أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج، يمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

- تشـــكل ثنائية الأنا والآخر البنية الفكرية المحورية التي تنتظم حولها أحداث الرواية ورؤيتها .
- جاءت الأنا في الرواية متعددة الأبعاد، حيث جمعت بين البعدين الوجودي والصـوفي إلى جانب بعدها الإنساني .
- يمثل الولي الطاهر نموذجًا للذات الباحثة عن هويتها ومكانها في عالم يشـهد تحولات متسارعة .
- تجسد الآخر في صور متنوعة دينية وثقافية وتاريخية وسياسية، مما أكسب حضوره طابعًا مركبًا ومتعدد الدلالات .
- اتســمت العلاقة بين الأنا والآخر بطابع حواري وصـــراعي في الوقت ذاته، وهو ما أضفى على الرواية بعدًا جدليًا واضحًا .
- طرحت الرواية إشـــكالية الحقيقة وحق امتلاكها من خلال تعدد الرؤى واختلاف التأويلات المتعلقة بالتاريخ والواقع .
- أسهم الرمز الصوفي في تعميق أبعاد الصراع وإبراز دلالاته الفكرية والحضارية .

- لعبت الآليات اللغوية والوصـفية والحوارية والرمزية دورًا بارزًا في بناء الشـخصـيات وتكثيف الدلالات .
- عكست الرواية رؤية نقدية للواقع العربي والإسـلامي من خلال مساءلة قضـايا الهوية والسلطة والاختلاف .
- تجاوزت تمثلات الأنا والآخر البعد الفردي لتلامس أبعادًا جماعية وحضارية أوسع .

وعليـه، يمكن القول أن روايـة "**الولي الطـاهر يعود إلى مقامـه الزكي**" تمثل نموذجًـا روائيًا ثريًا لدراسة إشكالية الأنا والآخر، لما تنطوي عليه من أبعاد فكرية ورمزية تعكس رؤية الطـاهر وطـار للـذات والهويـة والاختلاف في ظـل التحولات التي عرفهـا المجتمع العربي المعاصـر، وتكشـف عن قدرة النص الروائي على اسـتيعاب القضـايا الحضـارية والإنسـانية الكبرى وإعادة إنتاجها في قالب فني وجمالي متميز.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا.
2. ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
3. أبو قاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجزائري الحديث**، دار الرائد للكتاب، ط5، 2007.
4. أحلام معمري، "**نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية**"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 20، 2014.
5. أحمد عبد الحليم عطية، **جدل الأنا والآخر: قراءات نقدية في فكر حسن حنفي**، ط1، 1997.
6. أحمد مختار عمر، **المعجم العربي المعاصر**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
7. إدريس بوديبة، **الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار**، شركة أشغال الطباعة، قسنطينة، ط1، 2000.
8. إليك قائمة المراجع مرتبة ألفبائياً مع إبراز عناوين الكتب بالخط الغليض كما طلبت:
9. إيغور كون، **البحث عن الذات: دراسة في الشخصية ووعي الذات**، ترجمة: غسان أدب نصر، منشورات دار معد، دمشق، 1992.
10. إيهاب النجدي، **صورة الآخر في الشعر العربي**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2008.
11. إيهاب النجدي، **صورة الغرب في الشعر العربي الحديث**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2008.
12. بوشوشة بن جمعة، **التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية**، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2005.
13. بوشوشة بن جمعة، **الرواية العربية الجزائرية (أسئلة الكتابة والصيرورة)**، دار سحر للنشر، ط1، 1998.

14. الجمعي بن حركات، **التشكيل الفني والرؤية الواقعية في الكتابة الروائية عند الطاهر وطار: مقاربة تحليلية**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، كلية اللغة والأدب والفنون، جامعة باتنة 1، 2016-2017.

15. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ترجمة: خليل أحمد خليل، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط2، 2001.

16. جوزفين رزق الله فرج، "**المفارقة في مفهومي الأنا والآخر في الفكر الوجودي**"، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بورسعيد.

17. جيجخ صورية، **المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي**، رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2015-2016.

18. جيل دولوز، **نسق المتعدد**، ترجمة: مانع فيليب، ط1، دمشق، 2002.

19. حاتم زيدان والعيد جلولي، "**جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية**"، مجلة الإقر، جامعة قاصدي مرباح، العدد 29، 2017.

20. حسن شحاتة، **الذات والآخر في الشرق والغرب: صور ودلالات وإشكاليات**، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008.

21. درغام سهيلة، **جمالية السرد في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للروائي الطاهر وطار**، مذكرة ماستر، قسم الأدب العربي، كلية الأدب والفنون، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، 2019-2020.

22. دلال البزري، "**الآخر: المفارقة الضرورية**"، ضمن كتاب: الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه.

23. سالم معوش، **صورة الغرب في الرواية العربية**، المؤسسة الحديثة، بيروت، ط1، 1998.

24. سعد فهد الذويخ، **صورة الآخر في الشعر العربي**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

1. سلاف بوحلايس، "**صورة الأنا والآخر في شعر فكتور هيجو**"، متاح على الموقع : www.manifest.univ-ouargla.dz،

25. سـمير مرقس، **الآخر، الحوار، المواطنة: مفاهيم وإشـكاليات**، مكتبة الشـروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005.

26. صـــوافي بوعلام، **محددات الأنـا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد**، رسالة دكتوراه، جامعة وهران أحمد بن بلة 1، 2014–2015.

27. الطـاهر وطـار، **الأعمـال الروائيـة، المجلد الثـالـث: الولي الطـاهر يعود إلى مقامه الزكي**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

28. عباس يوسف الحداد، **الأنا في الشـعر**، دار الحوار للنشـر والتوزيع، اللاذقية، ط2، 2009.

29. عبد الله أبو الهيف، **الإبداع السردي الجزائري**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

30. علي حرب، **العالم ومـأزقـه: منطق الصـــدام ولغة التداول**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.

31. عمرو عبد العلي علام، **الأنا والآخر الشـــخصـــية العربية والشـــخصـــية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر**، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

32. فاضـل أحمد العقود، **جدلية الذات والآخر في الشـعر الأموي (دراسـة نصية)**، دار غيداء، عمان، ط1، 2011.

33. فؤاد علجي، **"الروايـة الجزائريـة المكتوبـة باللغة العربية بحث في التأســـيس والتأصيل"**، مجلة الكلم، المجلد 6، العدد 2، 2021.

34. فيصـــل الأحمر، **دراســـات في الأدب الجزائري**، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009.

35. قادة محمد، **"الحوار الثقافي بين نحن والآخر من منظور عبد الملك مرتاض"**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة مستغانم، مج 16، ع 02، 2020.

36. لوناس تركية وبلخير مســعودة، **الرمزية والســرد الزماني في رواية "رجال في الشـمس" لغسـان كنفاني**، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2019–2020.

37. لويس معلوف، **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق، لبنان، ط3، 1991.

38. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الفلسفي**، عالم الكتب، بيروت، 1989.

39. محمد العيد تاوريت، "**تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية**"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد 21، 2004.

40. محمد مصطفى زيدان، **معجم المصطلحات النفسية والتربوية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2013.

41. ملاك أشرف، "**التفاعل الحواري في رواية 'مملكة الغرباء': مقاربة تداولية في بناء المعنى الضمني**"، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 13، العدد 2، 2025.

42. همت بسيوني عبد العزيز، **الشخصية المصرية وصورة الآخر**، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

43. هيجل، **فينومينولوجيا الروح**، ترجمة: د. ناجي المونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.

الملحق

الملحق:

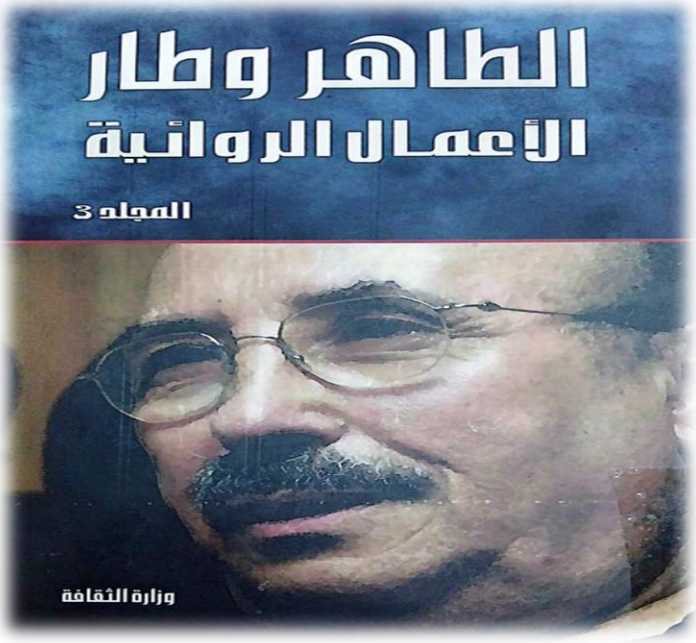

قبل الخوض في الحديث عن الأديب الجزائري الطاهر وطار ومؤلفاته التي عالج فيها قضايا اجتماعية وسياسية شهدها المجتمع الجزائري منذ خمسينيات القرن الماضي إلى غاية تسعينياته، يجدر بنا الوقوف عند الاتجاه الذي ميّز مساره الإبداعي، والمتمثل في الواقعية الاشتراكية، التي استفاد منها عدد من الكتّاب الجزائريين، غير أنّ وطار عمل على تطويرها وتكييفها وفق تجربته الخاصة في الكتابة الروائية.

ويقوم الأدب الاشتراكي، في جوهره، على ربط الإبداع بالواقع الاجتماعي والإنساني، إذ يسعى إلى تصوير الحياة في أبعادها المختلفة، والدفاع عن القيم الإنسانية القائمة على العدل والحرية والجمال، كما يحرص على التعبير عن آمال الإنسان وهمومه وتطلعاته نحو التقدم والتغيير .

وفي هذا السياق، يُنظر إلى الأديب بوصفه كاشفًا للواقع الاجتماعي في عمقه الخفي، حيث لا يكتفي بنقله بشكل مباشر، بل يعمد إلى تقديمه في قالب فني وإبداعي قد يتخذ أحيانًا طابعًا رمزيًا يوحي أكثر مما يصرّح، وهو ما يميز الكتابة الروائية التي تتجاوز الأسلوب التقريري المباشر إلى بناء فني وجمالي يعكس الواقع بصورة مركبة، كما هو الحال في تجربة الطاهر وطار الذي جمع بين البعد الواقعي والبعد الفني في إنتاجه الأدبي.

أولًا: مولد الطاهر وطار

وُلد الروائي الجزائري الطاهر وطار سنة 1936 بمدينة سوق أهراس شرقي الجزائر، في بيئة اجتماعية بسيطة كان لها أثر واضح في تشكيل وعيه المبكر بقضايا المجتمع والهوية. تلقّى تعليمه الأولي في الجزائر، ثم واصل تكوينه الثقافي بشكل ذاتي، قبل أن ينخرط في

العمل الصـــحفي والثقافي، وهو ما ســاهم في صــقل تجربته الأدبية. يُعد الطاهر وطار من أبرز رواد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، وقد ارتبط اســـمه بالكتابة الواقعية ذات البعد الاجتماعي والسياسي.

ثانيًا: مؤلفاته

تميّز الطاهر وطار بغزارة إنتاجه الروائي وتنوع موضـــوعاته، حيث عالج في أعماله قضايا الثورة، والسلطة، والهوية، والتحولات الاجتماعية في الجزائر، ومن أبرز مؤلفاته:

- اللاز (1974)
- الزلزال (1974)
- العشق والموت في الزمن الحراشي (1979)
- الحوات والقصر (1980)
- عرس بغل (1981)
- الشهداء يعودون هذا الأسبوع (1974)
- الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي (1981 تقريبًا ضمن مساره الروائي)
- تجربة في العشق (نصوص سردية ذات طابع رمزي)
- إضـــافة إلى مجموعة من الكتابات الفكرية والمقالات الصـــحفية ذات الطابع السياسي والثقافي.[1]

تدور أحداث رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي حول الشخصية الرئيسية المتمثلة في "الولي الطاهر"، الذي يعود بعد زمن طويل للبحث عن مقامه الزكي، في رحلة تتداخل فيها الوقائع التاريخية مع البعد التخييلي. وخلال هذه الرحلة، يســتحضــر الســارد مجموعة من الأحداث التاريخية والرمزية، مثل حادثة اغتيال القاهرة، ومجزرة الرئيس في الجزائر، إضــافة إلى أحداث من شبه الجزيرة العربية واقتحام مسجد الجليل بفلسطين، إلى جانب التطرق إلى ســيرة الشــاعر عبد الله عيســى لحليح، وحروب الردة، مع توظيف نقدي لبعض الظواهر الاجتماعية والثقافية في المجتمعات العربية الإسلامية.

[1] –ينظر: الجمعي بن حركات، **التشـــكيل الفني والرؤية الواقعية في الكتابة الروائية عند الطاهر وطار: مقاربة تحليلية**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، كلية اللغة والأدب والفنون، جامعة باتنة 1، 2016–2017، ص 339.

كما تعتمد الرواية على بناء سـردي متداخل يقوم على الانتقال بين الحاضـر والذاكرة والتاريخ، حيث يعيش الولي الطاهر حالة من الاضطراب النفسي وفقدان التوازن، خاصة مع عجزه عن اسـتحضـار ذاكرته الدينية بشـكل سـليم، حتى في أداء صـلواته. ويظهر "المقام الزكي" بوصفه فضاءً رمزياً يسعى إليه هرباً من "الوباء" الذي أصاب المجتمع، والذي يتمثل في انتشار مظاهر الفساد والاختلال القيمي.

وفي سياق الأحداث، يرافق الولي الطاهر مجموعة من المريدين والشيوخ والمريدات نحو هذا المقام بحثاً عن إقامة مجتمع منضـبط وفق تصـور ديني صـارم، غير أن الرحلة تتخللها توترات وصـراعات داخلية، خاصـة بعد حادثة قتل الفتاة التي حذرته من سـفك الدم، وهو ما يؤدي إلى انهيار حالته النفسـية وفقدانه للوعي والذاكرة، لتتعمق بذلك دلالات الصـراع بين المقدس والواقع، وبين المثال والواقع المعيش.

تعكس رواية *الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي* صورة الإنسان في الواقع الجزائري في بعده الإنسـاني العام، حيث يبرز البطل في حالة مواجهة دائمة مع الموت والصـراع، سـاعيًا إلى تجاوز أزماته الوجودية والبحث عن معنى للخلاص. كما تكشـف الرواية عن توتر العلاقة بين الواقع والمثال، وبين المقدس والواقع المعيش، في إطار سـردي تتداخل فيه الأحداث التاريخية بالبعد الرمزي.

وفي هذا السـياق، يدعو الروائي الطاهر وطار إلى إعادة قراءة التاريخ الإسـلامي قراءة نقدية واعية، بهدف الوقوف على حقائقه وفهم تحولاته، حيث يطرح النص ضـرورة العودة إلى التراث بوصـفه مرجعًا لفهم الحاضـر، لا بوصـفه مجرد سـردية مغلقة، وذلك من أجل إعادة بناء الوعي التاريخي للأمة واستيعاب أبعاد تجربتها الحضارية[1].

[1] – ينظر: درغام سهيلة، **جمالية السرد في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للروائي الطاهر وطار**، مذكرة ماستر، قسم الأدب العربي، كلية الأدب والفنون، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، 2019–2020، ص 60. (بتصرف)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء .....

شكروتقدير .....

مقدمة .....أ

مدخل حول تطورالرواية الجزائرية وسياقها التاريخي 7

أولا: نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية ومضامينها: 7

ثانيا: الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية فرة بعد الاستقلال 9

الفصل الأول

الإطارالمفاهيمي لمفهومي الأنا والآخر

تمهيد: 14

المبحث الأول: الأنا بين التحديد اللغوي والاصطلاحي وبنيتها المفهومية 15

أولا: مفهوم الأنا بين اللغة ولاصطلاح 15

ثانيًا: ماهية الأنا وتكوّنها.....17

ثالثا: أنماط الأنا 19

المبحث الثاني: الآخربين التحديد اللغوي والاصطلاحي 21

أولا: مفهوم الآخربين اللغة ولاصطلاح.....21

ثانيا: أنماط الآخر 23

المبحث الثالث: صورالتفاعل بين الأنا والآخر.....26

أولا: تمثلات العلاقة بين الأنا والآخر.....26

ثانيًا: جدلية الأنا والآخربين المفارقة والاختلاف 31

الفصل الثاني

تمثلات الانا والآخر في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"

المبحث الأول: تمثلات الأنا في الرواية 37

أولا صورة الذات في الخطاب الروائي 37

1) الذات المأزومة وإشكالية الوجود.....37

2) الذات الصوفية والبحث عن الخلاص الروحي.....38

3) الذات المغتربة بين الذاكرة والنسيان. 40

4) الذات الفاعلة في مواجهة التحولات. 41

ثانيا: الأنا الفردية والانا الجماعية في الرواية 42

1) الأنا الفردية بوصفها ذاتاً مغايرة ومتمردة 42

2) الأنا الجماعية بوصفها سلطة تنظيمية/إقصائية.....44

3) جدلية الصراع بين الفرد والجماعة 46

المبحث الثاني: تمثلات الآخر في الرواية 48

أولاً: صورة الآخر في الرواية 48

ثانياً: أنماط الآخر في الرواية 49

ثالثا: صراع الأنا والآخر 51

المبحث الثالث: آليات بناء الأنا والآخر سرديا في الرواية 54

أولاً: التمثيل اللغوي.....54

ثانياً: التمثيل الوصفي.....54

ثالثاً: التمثيل الحواري.....56

رابعاً: الآلية الرمزية 57

خلاصة:.....59

الخاتمة: 59
قائمة المصادر والمراجع: 59
الملحق: 59
فهرس الموضوعات 59
ملخص: 62

ملخص:

هدف هذه الدراسة إلى تحليل "تمثلات الأنا والآخر" في رواية **"الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "**للأديب الجزائري الطاهر وطار. تسعى الدراسة إلى الكشف عن كيفية بناء الشخصية الروائية لذاتها (الأنا) في علاقتها بالطرف المقابل (الآخر)، سواء كان هذا الآخر سياسياً، اجتماعياً، أو ثقافياً. اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي لاستنطاق النص، وتفكيك الحوارات والمواقف التي تعكس جدلية الصراع والتفاهم بين الذات والمحيط. خلصت الدراسة إلى أن الطاهر وطار استطاع من خلال سرديته أن يقدم رؤية نقدية للواقع الجزائري، حيث تتأرجح "الأنا" بين الانفتاح على "الآخر" والتحصن بالذات، مما يجعل الرواية فضاءً حوارياً يعكس صراعات الإنسان المعاصر وتطلعاته.

الكلمات المفتاحية :الأنا، الآخر، الطاهر وطار، تمثلات، رواية.

Abstract:

*This study aims to analyze the "representations of the Self and the Other" in the novel **"Al-Wali Al-Tahir Returns to His Holy Shrine"** by the Algerian writer Tahar Ouettar. The research seeks to uncover how the novelist constructs the narrative identity (Self) in relation to the counter-party (the Other), whether political, social, or cultural. The study adopts a descriptive-analytical approach to examine the text and deconstruct the dialogues and situations that reflect the dialectic of conflict and understanding between the subject and its surroundings. The study concludes that through his narrative, Tahar Ouettar provides a critical vision of the Algerian reality, where the "Self" oscillates between openness to the "Other" and defending its own existence. This renders the novel a dialogical space reflecting the struggles and aspirations of modern human beings.*

Keywords: *The Self, The Other, Tahar Ouettar, Representations, Novel.*